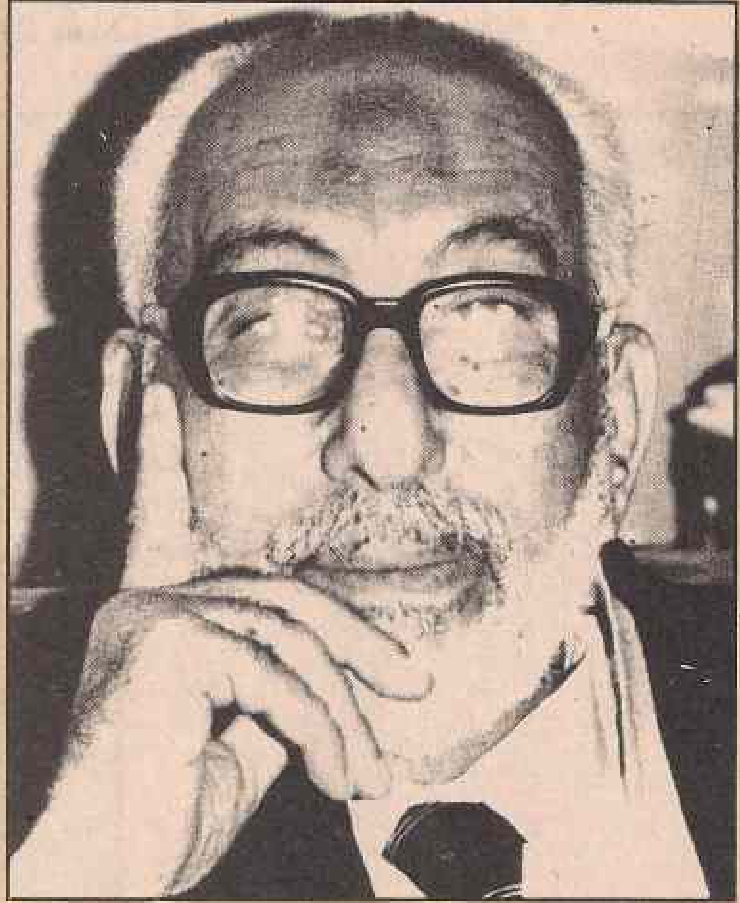
في يوم مولد محمود محمد شاكر

جزء خاص



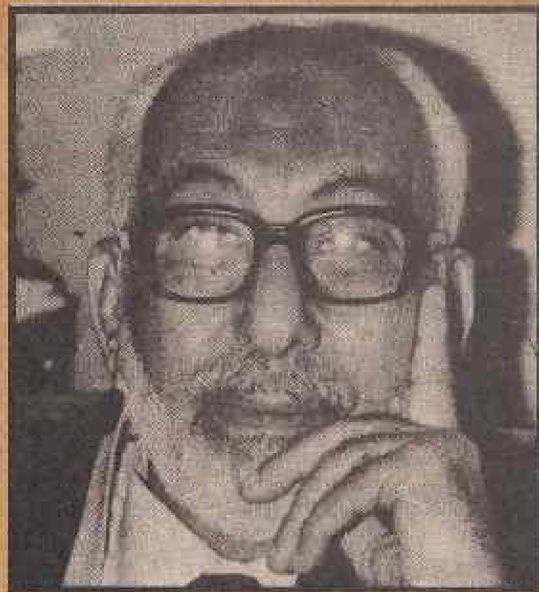
● احتفالا بالعيد الثامن والثمانين لميلاد الاستاذ محمود محمد شاكر، شارك عدد من أصدقائه وتلاميذه بالكتابة فى هذا الجزء الذى أفرده الهلال لهذه المناسبة، فتناولوا منهجه فى التأليف وعشقه للغة العربية التى أعطاها كل عمره، ودافع عنها بكل الحب والانحياز الكامل.

ولد محمود محمد شاكر أول فبراير عام ١٩٠٩، وقد عاش على مبادىء عربية أصيلة لم يحد عنها أبدا، لدرجة أنه اختلف مع الدكتور طه حسين أستاذه بكلية الآداب جامعة القاهرة، حول كتابه فى الشعر الجاهلى، وترك الجامعة ولم يعد إليها فتفرغ لتحقيق كتب التراث والبحث والتنقيب عن دور الأدب العربي، فصال وجال وأتى بما لم يستطعه الكثير من الباحثين ونال منزلة رفيعة بين أهل العربية لما قدمه من بحوث ودراسات في كتبه وفى عدد من المجلات الادبية من بينها الهلال ومن كتبه: أباطيل وأسمار - المتنبى - قوس العذراء (ديوان شعر) - رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا - نمط صعب - قضية الشعر الجاهلى فى كتاب ابن سلام

فتهنئة للاستاذ محمود محمد شاكر الذى أثرى حياتنا الثقافية بهذا الانتاج الأدبى الرفيع

جزء خاص

أبى محمود محمد شاكر



بقلم:
د. فهر محمود شاكر

أجده عسيرا وشاقا علىَّ أيَّ مشقة أن أذكر جانبا من حياة أبى محمود محمد شاكر، لأمرين أولهما: أنى بعض منه وألصق الناس به. وثانيهما: أنه علم من الأعلام الشوامخ لا يدرك شأوه ولا يبلغ قعره. فهو بحر لعلوم العربية جميعا بعيد الغور صعب المنال.

فكيف إذن ينطلق لسانى.. مبينا عن مكنون بيانى. بيد أن ما هو كائن سيكون، ولابد مما ليس منه بد.



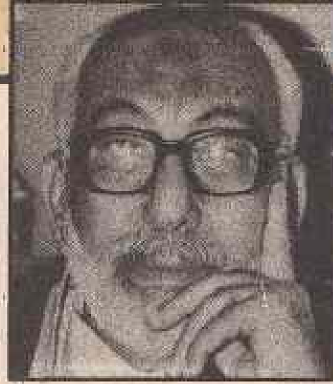
الشيخ محمود شاكر وبجواره ابنه فهر والفرحة تعلو وجهيهما بعد حصول فهر على درجة الدكتوراه ومن اليمين د. سيد حنفى ومن اليسار د. ابراهيم عبد الرحمن.

وقبل أن أسرد طرفا من سيرة أبي كما عشتها معه، أود أن أمهد للأمر بترجمة موجزة عنه، فهو من أسرة توارثت العلم خلفا عن سلف بدءا بجدى الشيخ محمد شاكر ثم عمى الأكبر الشيخ أحمد شاكر.

فهو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه الى الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما. وقد ولد بالاسكندرية بمنزل حافظ باشا فى الساعة السادسة العربية والثانية عشرة الافرنكية من ليلة الاثنين عاشر المحرم، وهى ليلة عاشوراء من سنة ١٣٢٧ هـ، وأول فبراير سنة ١٩٠٩م. وقد سماه جدى ولقبه (محمود سعد الدين) تيمنا بسعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩. والتى كان جدى واحدا من أبرز سياسييها حتى فسحت له جريدة المقطم صدرها، وخصت مقالاته بالمقام الأول من عنايتها.

ثم انتقل الى القاهرة فى صيف ١٩٠٩ م بتعيين والده وكيلا للجامع الازهر (١٩٠٩ - ١٩١٣) ثم تلقى أولى مراحل تعليمه فى مدرسة الوالدة أم عباس فى القاهرة ١٩١٦ م. وبعد ثورة ١٩١٩م. انتقل الى مدرسة القربية بدرب الجماميز، وفى سنة ١٩٢١ دخل المدرسة الخديوية الثانوية، ثم حصل على شهادة البكالوريا من القسم العلمى، ولكنه بدلا من أن يكمل

محمود شاكر فى يوم مولده



طريقه الذى بدأه، آثر أن يعدل رأيه ويعود الى شوقه وعشقه الذى لم يفارقه قط، وهو ولعه بالادب والشعر. فالتحق بكلية الآداب ـ الجامعة المصرية ـ قسم اللغة العربية، واستمر بها الى السنة الثانية، حيث نشب الخلاف الشديد بينه وبين أستاذه الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلى. وعلى إثره ترك الجامعة سنة ١٩٢٨ وسافر الى الحجاز مهاجرا، فأنشأ بناء على طلب من الملك عبدالعزيز آل سعود مدرسة جدة السعودية الابتدائية وعمل مديرا لها . ولكنه ما لبث أن عاد الى القاهرة فى أواسط سنة ١٩٢٩ م.

● الإتقان ديدنه في الحياة

ومنذ عودته انصرف بكليته الى الكتابة والادب، وكثرت مقالاته فى مجلتى المقتطف والرسالة وعدد آخر من المجلات الادبية التى كانت موجودة آنذاك . وهى مقالات تجمع بين الأدب بجوانبه والسياسة والتاريخ. ولكن مع مرور الأيام أخذ الفساد يستشرى فى جسد المجتمع وينتشر انتشار النار فى الهشيم . ولم يكن هذا الفساد مقصوراً على الأدب وحده، بل امتد اثره الى كل مناحى الحياة. فلما وجد الأمر قد صار كذلك ويئس من محاولة الاصلاح والتنبيه على وجوه الفساد الذى كان قد بدأ يدب حثيثا منذ أن كان بذرة صغيرة يمكن القضاء عليها حتى صار أمرا عاما لا يمكن السيطرة عليه، اعتزل الأمر كله وانقطع الى كتبه انقطاعا كاملا وانصرف الى التحقيق وسار على نهجه الذى سنه لنفسه حتى صار أعلم الناس بعربيته، وأخذ نفسه بالشدة فى أمره كله وصار الإتقان هو ديدنه فى الحياة كلها. حتى صار كما قال فى مقدمة القوس العذراء.. «واذا كل عمل يفصم عنه متقنا، وكأنه لم يجهد فى اتقانه. واذا هو مشرف فيه على الغاية، وكأنه مسلوب كل تدبير ومشيئة . ولكنه لا يفصم عنه حين يفصم الا مطويا على حشاشة من سر نفسه وحياته، موسوما بلوعة متضرمة، على صبوة فنيت فى عشرته ومعاناته.

فالعمل كما ترى، هو فى ارث طبيعته فن متمكن . والانسان بسليقة فطرته فنان معرق».
وهذا الكلام الذى ذكره فى القوس العذراء يعبر ادق ما يكون التعبير ويبين إبانة كاملة عن أسلوب ابى فى حياته كلها. فهو لا يرضى بالاتقان بديلا فى كل فعل يفعله وفى كل عمل يتقاضاه. وكذا لا يرضى من الناس الا الاتقان والصدق فى العمل.

وحتى تظهر هذه الصورة جلية واضحة أمام ناظرينا، فإنى سأروى طرفا من سيرته معى يظهر ما ذكرته من ولعه بالاتقان.

فمنذ أن وعيت كان منزلنا عامرا لا ينفض الناس منه من كل جنس وكل لون ما بين طالب

علم وشاعر وأديب قصاص. فقد ضم هذا المنزل عبد الرحمن صدقي ومحمود حسن اسماعيل ويحيى حقى. وغيرهم كثير ممن كان يلم بنا، هذا بالاضافة الى عدد كبير كان - قبل ولادتى - يأتى ويلازم أبى. وكانت هذه المجالس تجمع بين العلم والمرح ولم تكن مرتبطة بيوم معين بل كان المنزل ولايزال مفتوحا لكل فرد فى كل زمان وأوان.

وصار منزلنا قبلة القصاد من دارسى العلم من كافة أرجاء العالم الاسلامى، يختلفون اليه ويترددون على مجالسه العلمية يأخذون عنه ويفيدون من علمه ومكتبته حتى صار جامعة جامعة لا تمنع وُرَّادها ولا يصدر الناس عنها إلا رواء.

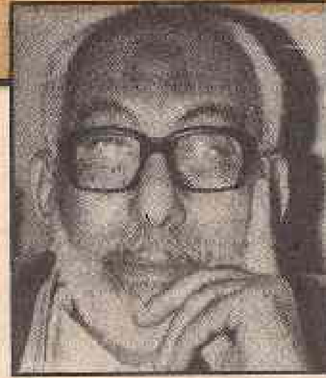
ونعود مرة اخرى الى الإتقان . فمنذ ان شببت عن الطوق وفى بداية دراستى الابتدائية ارتأى والدى ان القرآن لابد أن يكون سبيلى الاول للعلم فأعد لى شيخا قارئا يدارسنى القرآن ويعلمنى أصول التلاوة حتى حفظت على يديه الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن، فهو لم يشأ أن يعلمنيه بنفسه بل أحضر متخصصا متقنا حتى أتقن أصول التلاوة ويستقيم لسانى. ولكن فى أثناء ذلك لم يتركنى معه دون متابعة بل كان يمتحننى ليرى أصدق الرجل فيما علَّم وهل وعيت ما درست أم لا.

فهذا الضرب من الإتقان الذى أراد أن يعلمنيه منذ نعومة أظفارى والذى حرص عليه اشد الحرص هو جزء من طبيعته التى أراد أن يغرسها فى . فلما انصرف الشيخ أخذ هو يدارسنى القرآن فقرأته عليه أكثر من مرة وكان دائم الترداد أن القرآن لابد من المداومة عليه لأنه يتفلت كما تتفلت الابل من عقالها. وصار يتابعنى بعد فى مراحل دراستى يرشدنى الى الصواب، ويتدقق فى الأمر حتى يصل الى وجهه الصحيح.

فلما كان الثانوى أراد لى أن اعتمد على نفسى بعد أن سن لى الطريق وهيأه فتركنى أفعل ما أريد. ولكن تحت رقابته. فاذا كنت أحيد عن جادة الصواب كان يعيدنى الى سواء السبيل باللين مرة وبالشدة أخرى.

ولم يكن الامر كله مدرسة ودروسا فقط بل كان يوجهنى الى كل وجه ومن وجوه الحياة فكان يحثنى على القراءة والمداومة عليها ويتابع اهتماماتى الأخرى. فاذا وجدها طيبة حسنة يساعدنى فيها.

وكثير من الناس يظنون أن محمود شاكر لا هم له سوى العلم لذا فهو حاد الطباع عنيف. ولكنه على غير ذلك تماما، فحدة طبعه لا تظهر الا مع الخطأ والا فهو لين العريكة سلس القياد، يأخذ حياته كلها بالجد والاهتمام حتى فى أبسط الأمور فهو مثلا مولع أشد الولع بكرة القدم، ولكنه ليس كغيره يتعصب لفريق دون اخر بل يشاهد الكرة بعين ناقد بصير، فتراه وهو مستغرق فى مشاهدتها وكأن يدرسها ويسبر غورها وكذاك هو فى استماعه للغناء وبخاصة أم كلثوم . فقد أراد كما حدثنى أن يكتب عنها وعن نمط غنائها وكيف تلون الكلام نفسه.. فى كل مرة تغنيه، ولكنه لم يفعل.هذا الاتقان الذى وصفته به آنفا ووصف هو به نفسه انصرف الى كل شىء فى حياته، فاذا ما فسد شىء فى المنزل وحضر



العامل لإصلاحه يظل أبى واقفا بين يديه يقظا متحفزا يراجع ويسأل . حتى اذا ما انتهى العامل من عمله يكون قد تابع الأمر واطمأن على حسن أدائه فيطمئن قلبه. واذا هو لم يفعل ذلك يظل قلقا حتى يصل الى اليقين.

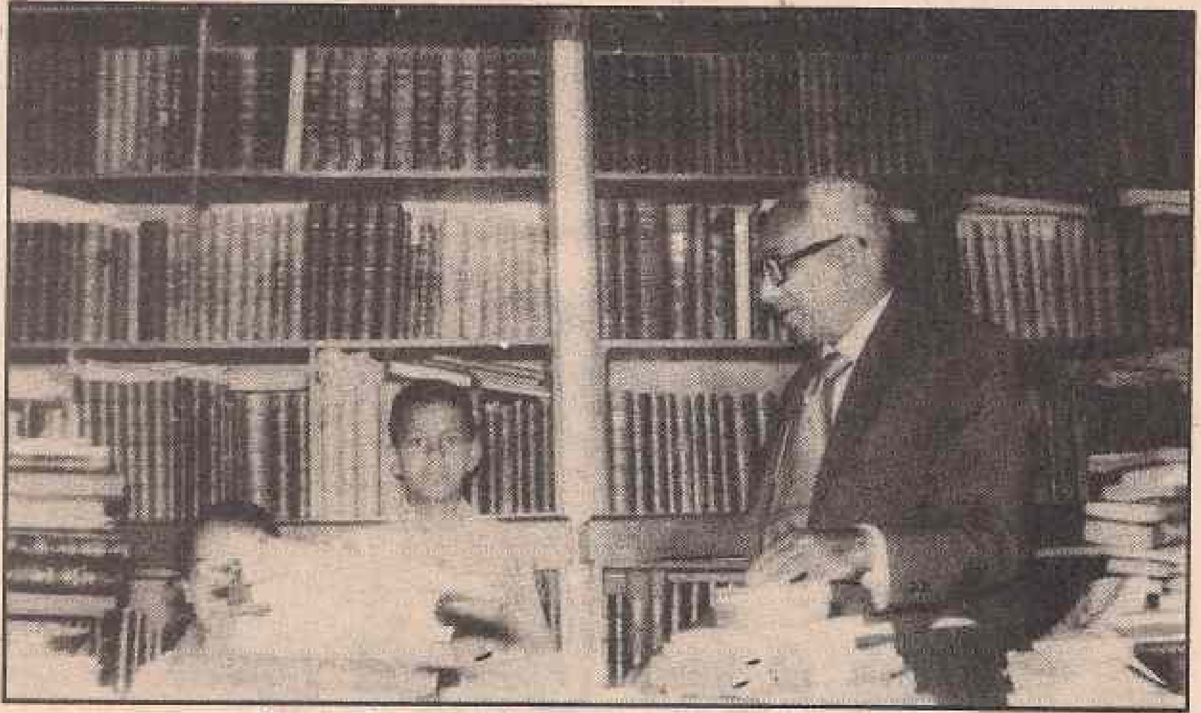


أما فى الجامعة وخاصة عندما التحقت بكلية الآداب قسم اللغة العربية، تغير حاله معى فبعد أن كان قبل ذلك رقيبا علىَّ فى كل دروسى، تركنى أفعل ما اريد لانه أراد لى أن اعتمد على نفسى فكنت اذاكر كيفما شئت ومتى شئت لا يسألنى عن شىء. فاذا ما استعصى على الأمر كان يرشدنى الى مظان الامر، فاذا حلت المشكلة ينفرج الامر وتتضح الصورة، اما اذا ما استعصت على يأخذنى رويدا الى حلها ويشعرنى كأنى أنا صاحب حلها حتى اتعلم كيف يكون البحث، فأى مشكلة فى نظره لها حل . ولكن التسرع لا يصل الى صوابها بل قد يعدلها عن وجهها فالتأنى والصبر وتقليب الامر على وجوهه حتى نصل الى اليقين هو الصواب فى حل أى عقبة. فاذا استعصى الأمر واشكل لم يكن يستنكف أن يقول انه لم يجد له وجها . فالصدق قرين الاتقان وأساس العمل كله.

وظل هذا ديدنه معى بعد ذلك حتى بعد أن أعددت رسالتى للماجستير والدكتوراه . فقد كان يتركنى افعل ما أريد ثم يتابع بعد ذلك عملى ويقومه ويصبر على مشاكله حتى تنكشف غوامضه وتستبين ملامحه.

وقد كان دائم القول إن المرء اذا أراد ان يصل الى لب الحضارة الاسلامية فلا مدخل له سوى الشعر والقرآن فهما الاساس الذى انبنت عليه هذه الحضارة . وأن جميع العلوم تبع لهما وآخذة بزمامهما لذا فان جميع العلوم من ادب وحديث وفقه وتاريخ وجغرافيا فى عقد واحد واسطته اللغة.. وأن الدارس لابد أن يأخذ من جميع هذه العلوم ويلم بها لأنها جميعا مترابطة متشابكة.

ولا يقف اهتمام ابى بالعمل عند التدقيق والتمحيص بل يمتد الى إخراج النص فهو يراجع كل بروفات الكتاب بنفسه ثلاث مرات أو أكثر؛ يزيد الامر تدقيقا فى كل مرة عن سابقتها ويتأنق فى اخراجه، ولا يبالى بما صرف عليه فهو يريده أن يخرج كاملا من كل وجه. ولا يقف الأمر عند إخراجه ثم يتركه بعد ذلك بل يراجعه مرة أخرى ويدون ملاحظاته على هامش نسخته من تصويب، فإذا ما دله أى إنسان الى زيادة لم يقع عليها او الى تصحيف لم ينتبه اليه يدونه فى نسخته فاذا ما أعاد طبع الكتاب مرة اخرى يذكر ما اخطأ فيه ويذكر من دله عليه شاكرا فضله ولا يفرق ذلك بين انسان وآخر، فهو فى كتاب (طبقات فحول الشعراء) بعد أن طبع الكتاب طبعته الاولى، بعث اليه يهودى من فلسطين المحتلة



فى مكتبته العامرة يقف بين امهات الكتب ويرنو بحنان الى ولديه فهر وزلفى

بتصويب مهم. فعندما أعاد طباعته ثانية صحح ما كان قد وقع فيه من خطأ ونص أن الذى دله على ذلك يهودى فشكره على كرهه لذكره . ولكنها الأمانة والإتقان.



فاذا ما انتقلنا الى عادته فى العمل، فإنه عندما كان ينصرف الى عمل ما - مهما كان صغيرا - كان ينصرف اليه بكل نفسه فيجلس الى مكتبه يلازمه منعزلا عن كل ما حوله لا يبالى بما هو كائن ويظل على جلسته هذه قرابة ثمانى عشرة ساعة أو يزيد لا يكل ولا يمل. يعمل منفردا ينسخ ويراجع ويدقق حتى يطمئن الى أن الأمر أصبح على وجهه الذى يريد فيدفع به الى الطباعة ويظل متابعا مدققا حتى يخرج للناس مبرأ من كل عيب.

وهو فى خلال ذلك تسعفه ذاكرة حافظة لكل كلمة كان قرأها ولها صلة بما يكتب ويحقق. يربط الكلام ويصله حتى يخرج كلا متماسكا لا تفكك فيه ولا مأخذ عليه.

فالاتقان هو سر حياته ونمط معيشته . فهو لم يكن يترك الإتقان لحظة واحدة، بل صار إتقانه ديدنه وعادته وكأنه قد خلق به.

وبعد فهذا ضرب من سيرته قصصته على مشقة أجدها فى نفسى من الحديث عن ابى محمود شاكر أولا. وعن هذا العلم الشامخ ثانيا. اللهم انا نسألك الثبات فى الأمر، والعزيمة على الرشد، والاتقان فى العمل، والأحسان فيما نأتى ونذر.

معالم هادية

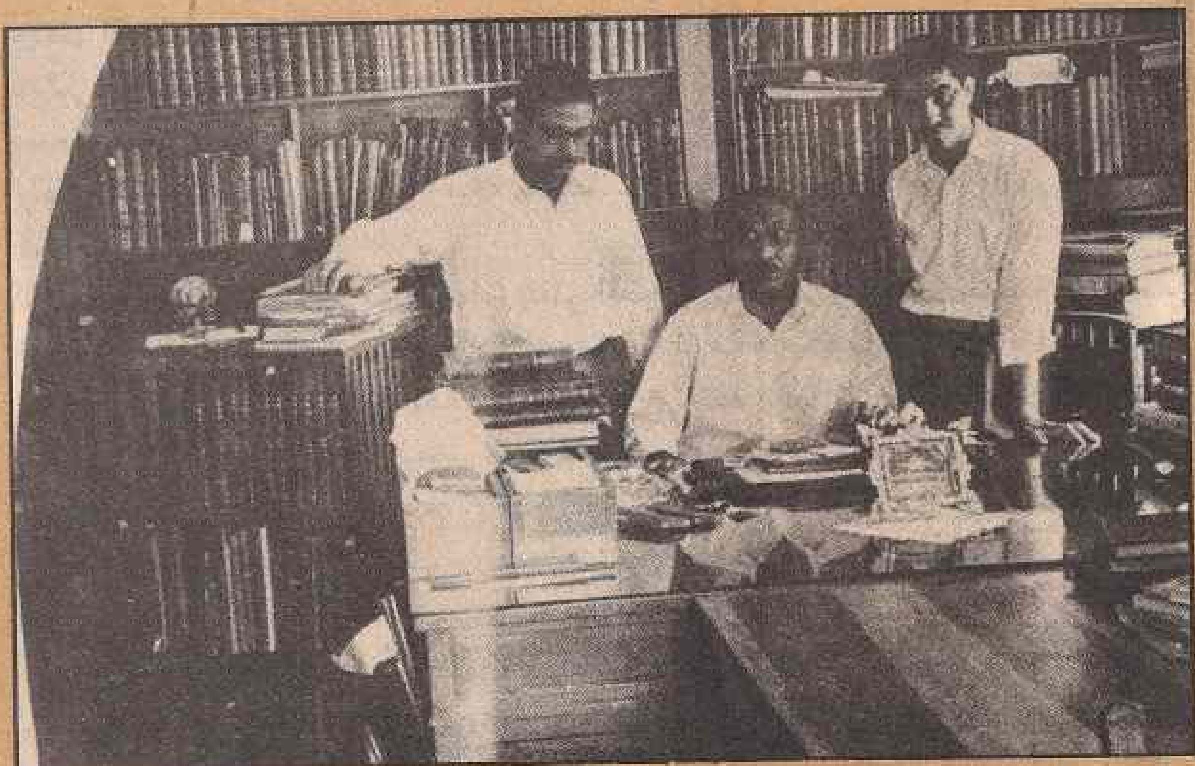
على طريق سيرة عطرة

بقلم : د. الطاهر أحمد مكى

عرفت عالمنا الجليل منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، معرفة بدأت متواضعة، مالبثت أن أصبحت إعجابا مكينا، تحول مع الزمن تقديرا وثيقا، رغم أننى لم أره شخصا عبر هذه السنين غير مرة واحدة فى داره العامرة، ومرتين خاطفتين فى مناسبتين علميتين فى جامعة القاهرة .



محمود شاكر فى شبابه يحتضن ابنته «زلفى» وبجواره
ابنه فهر الذى أصبح الآن أستاذا بجامعة القاهرة



في مكتبة محمود شاكر يجلس على مكتبه وعلى يمينه ابن أخيه الشاعر الراحل على ذو
الفقار شاكر وجمعة يس أحد أصدقائه ومريديه

محمود شاكر فى يوم مولده



كان اللقاء الأول عبر صفحات الرسالة، في عددها الممتاز الذي تصدره في مناسبة عيد الهجرة، عام ١٩٤٠، والحرب العالمية الثانية في ذروتها، وكانت مصر تحتفي بالمناسبات الدينية، والتاريخية الإسلامية، احتفاء عظيما، شعبا وهيئات وحكومة، وكانت الرسالة بعض زادي الأدبي صبيا، ومعجمى اللغوي محدود، رغم أني كنت أحفظ القرآن الكريم، وقصائد متناثرة لبعض الشعراء، أترنم بها موسيقيا، ولا أعرف من معناها وألفاظها غير القليل. أستعذب فيها مقال الزيات وأحفظه، وقريبا منه ما يخط على الطنطاوي، ويليهما سعيد العريان، وبعدهم كاتبان آخران، كنت أحس فى داخلي بروعة ما يكتبان، ولكني لا أفهم مما يخطان غير القليل، وهاجس في داخلي يرد العيب فيّ، فأراهما أعلى قامة، وأنني دونهما فهما، وتجتاحني ثقة لا أعرف مصدرها، بأنني يوما ما سوف أعي ما يقولان، وكان الكاتبان هما: مصطفى صادق الرافعي، ومحمود محمد شاكر.

كان مقال ثانيهما، وهو ما يعنيني الآن، والذي وقعت عليه لأول مرة يحمل عنوانا جانبيا : «من مذكرات عمر بن أبى ربيعة»، وأحسب أن العنوان الأصلى كان «الحقيقة المؤمنة» ، وتحت العنوان صورة الكاتب، استقرت فى وعيى لا تفارقه حتى يومنا هذا : يضع نظارة، وتشي ملامحه بالنحافة والسمرة، وتعكس نظرته ثقة وهدوءا وتحديا، واستقر في أعماقى أنه صعيدي - ولا أدري لم - وكنت دوما، شابا غريرا، أو رجلا في خريف العمر، أحب الصعيد وأهله، وأتعصب لهم، وأرى فى أخلاقهم كثيرا من الفضائل الجميلة، وأنهم في وطنهم مظلومون !

ثم جئت القاهرة فتيا أطلب العلم، يلفنى الحياء، وتحاصرني قاهرة صاخبة لم أعهدها في قريتى الساجية، فوقفت صلتي بالكاتبين عند متابعة ما يكتبون ، وتقدير يتفاوت حسب مواقفهم ، كما بدت لى يومها، بعضهم بلغ تقديري له حد الإجلال، وآخرون أدرت لهم ظهري حين عرفت ما كان خافيا من بعض أخبارهم، ولم يكن ميزاني الذي أقيس به قامة المفكرين جزالة لغتهم، أو بلاغة أسلوبهم، أو عمق أفكارهم، (وكل ذلك مطلوب)، وإنما قبل ذلك كله سلامة موقفهم، والمفكر أو المثقف أو الأديب ، اختر أي صفة تريد، هو عندي موقف أولا .

● نشاط ثقافى متصل

أظن المقدمة طالت ، دفعني إليها آن حديثى عن سيرة عالمنا، وما فيها من معالم هادية، مصدرها كتبه ومقالاته وتحقيقاته، ونشاطه الثقافي المتنوع والمتواصل وليس وليد معرفة شخصية لصيقة، وأزعم أن قراءتي لوفير إبداعه وفكره كانت عميقة ومتواصلة ، حتي أني اقترحت على أحد نبهاء طلابى في الماجستير منذ خمسة عشر عاما خلت، أن يعد رسالته

للماجستير عن جانب من نشاط عالمنا الجليل، وطلبت منه بدءا، وتوقا، أن يذهب إليه ويستأذنه ، فوجده خارج مصر، وكان الطالب عجلا من أمره، فرغب إليّ أن يدع هذا الموضوع لرسالة الدكتوراه، وافقت. ولم تعد الفكرة وقد فاه بها لساني ملكا لي، ولا لطالبي، فالتقطها آخر أو حملت إليه، وكان والحق يقال طالبا نابها، فسجل الموضوع بإشراف زميل، وكان الباحث في مستوى الموضوع وثرائه ، فجاءت الرسالة عملا ممتازا.

الطريق الى تحديث الأدب العربي

فيما خط عالمنا من إبداع قدمات ودراسات ومقالات، إشارات متناثرة عن حياته ، تعين على رسم صورة واضحة المعالم عن الخطوط البارزة فى حياته .

المَعْلَم الأول في هذه السيرة العطرة، التي نود أن نتخذها نموذجا، حتى لو اختلفنا مع صاحبها في جوانب منها، لاختلاف الزمن ومعطياته؛ ولكنه اختلاف لا يمس الجوهر ولا الغاية،يتمثل في أن الطريق إلى تحديث الأدب العربي نصا ونقدا ينطلق من استيعابه في موروثه، وتطويع المستحدث لخدمة هذا الموروث، لأن «الجديد» و «التجديد» لا يمكن أن يكون مفهوما ذا معنى إلا أن ينشأ نشأة طبيعية، من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حية في أنفس أهلها ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته، متمكن في لسانه ولغته، متذوق لماهو ناشيء فيه من آداب وفنون وتاريخ .

وهكذا كان أبو فهر .

في السابعة من عمره التحق بمدرسة أم عباس الابتدائية في القاهرة ، عام ١٩١٦، ووجد نفسه وهو في السنة الأولى مفتونا بدراسة اللغة الإنجليزية، بحروفها الغريبة النطق فألهته عن اللغة العربية، وأصبح فيها ضعيفا جدا، لا يكاد يجتاز امتحانها إلا على عسر،ثم رسب في امتحان الشهادة الابتدائية، ولم تكن المدارس يومها تعرف نظام الدور الثاني، فأعاد السنة الرابعة، ووجد المجال فسيحا ساعتها ليثأر للغة العربية، يقول: «وصنع الله لي حين سقطت، وأحسن بي إذ ملأ قلبي ملئا من الدروس المعادة، واتسع الوقت فصرت حرا أذهب حيث يذهب إخوتي الكبار إلى الأزهر، حيث أسمع خطب الثوار وأدخل «رواق السنارية» وغيره بلا حرج، وفي هذا الوقت سمعت أول ماسمعت مطارحة الشعر، وأنا لا أدري من الشعر إلا قليلا».

ثم وجد ديوان المتنبي بشرح الشيخ اليازجي، مع ابن خاله أبي الفضل هارون، وكان مشتغلا بالشعر والأدب ، والديوان مشكول مضبوط، جيد الورق، فاحتال عليه حتى أخذه منه، ولم يكد يظفر به حتى فتن به، وحفظه في عام واحد، وعادت الكلمة العربية إلي مكانها من نفسه ..

محمود شاكر في يوم مولده



مع الشعر وكتب التراث

والمعلم الثاني دور الأساتذة العظام

في عام ١٩٢١ التحق الفتى بالمدرسة الخديوية الثانوية، وهي يومئذ من أكبر مدارس القاهرة وأعرقها، ويلتحق بالقسم العلمي، ويقع في هوى الرياضيات، وإن لم يصرفه ذلك عن قراءة تراث العربية، وهو تلميذ بالثانوى يحفظ القرآن الكريم، ويتردد على مكتبه أمين الخانجي، ويقبل عليه في دكانه ذات يوم، فيخرج له ورقة حائلة اللون، يسأله عنها، فلا يكاد يقرأ أسطرا حتى يعرف أنها من كتاب طبقات الشعراء، لابن سلام الجمحي، لأنه كان حديث عهد بقراءة الكتاب (كم من مدرسي الجامعة، المشتغلين بالأدب، قرأوا الكتاب في أيامنا هذه ؟!)، ثم يجمع أوراق المخطوطة المبعثرة، ويفرزها ويرتبها، ثم ينسخها لنفسه.

وفي هذه المرحلة من شبيبته اتصل بعلامة عصره سيد بن علي المرصفي، يتردد عليه في بيته، ويختلف إلى دروسه المسائية في جامع السلطان برقوق، يدرس عليه شرحه كتاب الكامل للمبرد، وهو شرح نشر فيما بعد، عام ١٩٢٧ ، في ثمانية مجلدات ، بعنوان «رغبة الأمل من كتاب الكامل» ، وشرحه لحماسة أبي تمام، ونشر عام ١٩٢٥، بعنوان «أسرار الحماسة»، وكلا الكتابين لم يطبعا غير مرة واحدة، لأن الهيئات الثقافية التي كان دورها إصدار هذه الذخائر مشغولة بكل رديء وغث وتافه، وقرأ عليه أيضا شيئا من أمالي القالي ، وأشعار الهذليين.

كان تأثير المرصفي في أبي فهر عظيما ، ويحدثنا هو نفسه عن ذلك يقول : « ... وفي زمان هذه القراءة كان أثر الشيخ عليَّ أثرا شديدا ، فقد أثار اهتمامي وصرف قلبي كله إلى الشعر الجاهلي وبعض الشعر الأموي، وأخذني ما يأخذ الشباب في ريعان طلب المعرفة. فارت بي هذه النشوة الجديدة بالشعر الجاهلي، فجعلت تثبط همتي عن الشعر العباسي بعض التثبيط، وكان مما ثبطت عنه همتي أشد التثبيط ديوان أبي الطيب المتنبي، مع أنه كان أول ديوان من الشعر قرأته كله ، وحفظته كله، وفتنت به كله ...» .

ولم تنقطع صلة الطالب بأستاذه، إلى أن لقي الشيخ المرصفي ربه عام ١٩٣١ !

في بيت من بيوتات العلم

والمعلم الثالث يتمثل في البيئة اللصيقة، ممثلة في بيتهم، فقد كان والده الشيخ محمد شاكر عالما جليلا، وأزهريا مستنيرا، وكانت داره موردا كثير الزحام لعلية القوم والعلماء والأدباء ، ورجال الأزهر ، وكان من علمائه المرموقين، وشغل منصب وكيل الأزهر ، وقاضي قضاة السودان، وعضوا ظاهرا في الجمعية التشريعية ، إلى مشاركة فسيحة في التأليف والتحقيق، وأتاح له الزائرون والمتحاورون فرصة أن يسمع وأن يتعرف لمن يرتاح إليه .

كان من بين الذين عرفهم ويودونه أحمد تيمور باشا، ويصفه بأنه «شيخ ساكن الهيبة، رقيق الحاشية ،ساحر الابتسامة، رقيق اليد واللسان ، حلو المنطق ، خفيض الصوت، ذكي العينين» . وحدث أن التقى به في المكتبة السلفية، ولما يزل تلميذ ثانوي، فقدم إليه تيمور باشا مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، عدد يوليه ١٩٢٥، وقال له : اقرأ هذه ، فإن فيها مقالة للأعجمى المستشرق مرجليوث، تستغرق من المجلة نحو اثنتين وثلاثين صفحة بعنوان «نشأة الشعر العربي» ، وبعد أيام رد أبو فهر المجلة لتيمور ، فسأله : ماذا رأيت ؟ قال له: رأيت أعجميا باردا شديد البرودة، لا يستحي كعادته.

خصومة حول الشعر الجاهلى !

والمعلم الرابع موقفه طالبا في كلية الآداب، ففي عام ١٩٢٦حصل علي شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) ، القسم العلمى، واتجه بعدها إلي كلية الآداب ، رغم أن القسم العلمي لا يؤهل طلابه لها، وقد توسط له الدكتور طه حسين، وكان أستاذا بالكلية، لدى أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة إذ ذاك، فقبل في قسم اللغة العربية، وأمضى فيه عامين شغل الجانب الأكبر منهما نزاعه مع الدكتور طه حسين حول ما عرف بقضية الشعر الجاهلى.

لقد وجد الطالب أن كلام أستاذه في هذه القضية نفس كلام المستشرق الإنجليزى الذى قرأه من قبل ، ولكنه لم يستطع أن يبوح له بأن ماسماه منهجاً، ونسبه إلي نفسه، كان سطوا غير كريم علي كلام المستشرق الإنجليزي، وإن صارح به غيره من الأساتذة الأجانب ، وبخاصة الإيطاليين نلّينو وجويدى ، وكانا يعرفان ولكنهما يداوران ، «فهما يعلمان علما يقينا لا شك فيه أن محصل مايقوله الدكتور طه، إنما هو «سطو» عريان علي ما كتبه مرجليوث، ولكنهما كانا معي شديدى المراوغة : لا يملكان مصارحتي بأن هذا ليس «سطوا»، ويمتنعان أن يقولا صراحة انه «سطو!».

وفي تلك اللحظة سقط معني الجامعة في نفسه، وأصبح أنقاضا وركاما فيما يقول، فقرر أن يترك الجامعة !

والمعلم الخامس أن مصر وحدها هي التي وسعت هذا الشاب اليقظ المتوتر ، وتسع كل مفكر جاد في الحقيقة، والهجرة إلي عالم دونها ليست علاجا والغربة هروب ، تخنق الضعيف، وتطفيء توهج الروح ، وتئد المغامرة والابتكار ، وتنسي العالم خير ما تعلمه، وتحوله مع الزمن إلي طالب عيش، أما القوي الأصيل فلن يتحملها ، وسوف يهرب منها،عائدا إلي مسقط رأسه، مع أول فرصة تواتيه .

وهكذا كان محمود شاكر .

ترك الجامعة ، وغادر مصر إلى الحجاز عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م ، واستقر فى مدينة جدة، حيث أنشأ مدرسة ابتدائية، بناء علي طلب الملك عبدالعزيز آل سعود ، وعمل مديرا



لها، ولكنه لم يستطع أن يبقى غير قريب من عام واحد، عاد بعده إلي أم الدنيا !

عصر خلاق نفتقده

والمعلم السادس مزدوج الدلالة، يلقي الضوء علي جانب من حياة عالمنا، ويفسر حركة روحه وقلمه ، ويرسم في الوقت نفسه صورة واضحة الدلالة لعصر خلاق نفتقده، ولا أدري كيف نبدأ، ولا من أين، لكي نصل الي مثله ، فبدون رجال مثل أولئكم الرجال تظل قافلة الثقافة في وطني بلا هاد ولا ربان.

ما إن عاد الأستاذ الجليل من الحجاز حتي بدأ يكتب ، ويشارك في هموم وطنه الثقافية علي صفحات صحف مصر ومجلاتها: الفتح والزهراء والمقتطف والبلاغ والرسالة والمقطم والدستور وغيرها. وتوثقت صلته بكبار المفكرين والمثقفين في تلك الفترة : أحمد تيمور باشا، ومحب الدين الخطيب ، ومصطفي صادق الرافعي ، وسعيد العريان ، وعباس العقاد، ويحيي حقي، ومحمود حسن إسماعيل، وفؤاد صروف وآخرين . وبداهة لا أعد الذين كانوا يترددون علي ندوته وهم كثر ، من مصر وشتي أقطار العروبة .يعرفهم ، وتربطه بهم أواصر صداقة، رغم الاختلاف في الاتجاهات والأفكار، وذلك بعض سر عبقرية تلك الفترة من الزمان في مصر.

قصته مع المتنبى

والمعلم السابع،غيرة مستنيرة علي اللغة العربية، نعهدها عند قلة في عصره، ولا أراها إلا عند ندرة في أيامنا هذه ، وتوقير وإجلال شديدان لعظماء مبدعيها، وتجلي هذا واضحا في كل نتاجه، وأكتفي منه بظاهرتين : كتابه عن المتنبي، ووقفته في وجه عدوانية لويس عوض علي التراث العربي .

تبدأ قصة كتاب المتنبي مع الذكري الألفية لوفاته في منتصف الثلاثينيات ، وكانت حافزا قويا لإحياء هذه الذكرى، وإماطة اللثام عن سر عظمة المتنبي، وتبارت في هذا شتي الصحف والمجلات، ولكن مجلتين عظيمتين كان لهما قصب السبق : صحيفة دار العلوم، التي كانت تصدرها جماعة دار العلوم، وضمت أبحاثا متنوعة عن المتنبي في مجلدين كبيرين ؛ ومجلة المقتطف، وهي التي تعنينا هنا .

ذلك أن مجلة المقتطف خصت لأول مرة ، وربما لآخر مرة أيضا ، في تاريخها عددا خاصا عن المتنبى، يتولي إخراجه كاتب واحد ، هو محمود شاكر ، وفيه تناول حياة المتنبى من شعره ، وتفسير ما أشكل من هذا الشعر ، وما خفي من أسرار قائله .وصدر هذا العدد



صورة نادرة تجمع بين الأستاذ شاكر وعن يساره د. حسين نصار ود. ناصر الدين الأسد وبين الحضور د. محمود الطناحى واحمد المانع ورشاد عبدالمطلب

أول يناير ١٩٣٦م ، وهي الدراسة التي سوف ينال عنها بعد خمسين عاما من كتابتها جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب.

انتهي في هذه الدراسة الي أشياء انفرد بها ، كان الناس قبله يتقبلونها دون شك ، وتتصل بوضاعة أصل المتنبي ، فقد انتهي من تطبيق منهجه إلي أن المتنبى كان علويا ، أى هاشميا قرشيا ، ولم يكن من أصل وضيع، وهو اتجاه يقف فيه وحده قديما وحديثا، كان أول من قال به ودعمه ، ودلل عليه في ضوء منهجه الذى يجمع بين دراسة شعر الشاعر تذوقا ، وجمع كل ما أمكن أن يقع في يديه من تراجم أبي الطيب التي كتبها الأولون، وما أتيح له مما كتبه المحدثون، وقرأ هذه التراجم ، رادا الأخبار الي أصولها التي نقلت عنها، ورتبها تاريخيا، حتي يتسني له أن يعرف مواطن التغيير والتبديل التي لحقت هذه الأخبار، وفي نقل كل مؤلف عمن سبقه.

وكان الدكتور طه حسين في ذلك الوقت معجبا بالمتنبي . علي طريقته ، وألف كتابه «مع المتنبى» بمناسبة ذكراه الألفية أيضا ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بعد عام كامل من كتاب أستاذنا محمود شاكر، وفيه يقف فى أقصى الطرف المقابل من رأيه المتصل بنسب المتنبى، وحوله ـ وقضايا أخرى ـ دار بين الرجلين حوار رائع خصب مفيد والشىء نفسه دار مع الأستاذ سعيد الأفغانى ، وهو سورى من كتاب مجلة الرسالة ،



حول نبوءة المتنبي، ينفيها الأستاذ محمود شاكر، ويثبتها الأستاذ سعيد الأفغاني ، معتمدا علي ماقرأ ورأى ووجه، وأكسبنا هذا الحوار العلمي المستفيض سفرا ثانيا عن المتنبي، سوف يكمل الأول ، ونشر بعده باثنين وأربعين عاما، أي في عام ١٩٧٧ م ، بعد أن نشر الجانب الأكبر منه فصولا في صحيفة البلاغ .

هل قيلت الكلمة الفاصلة في القضيتين : نسب المتنبي ونبوءته ؟ ليس بعد!

وأما الظاهرة الثانية فهذه الفصول العظيمة التي كتبها عالمنا الجليل في مجلة الرسالة ، في صدورها الثاني، عام ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م ، ردا علي الدكتور لويس عوض، وقد رأى فيما يكتب هذا خبثا شديدا «فصار حقا عليّ واجبا - فيما يقول عن نفسه - ألا أتلجلج ، أو أحجم ، أو أجمجم ، أو أداري، مادمت قد نصبت نفسي للدفاع عن أمتي ما استطعت إلي ذلك سبيلا » .

● موقف معاد للحضارة العربية !

كان الدكتور لويس عوض، وهو متخصص في اللغة الإنجليزية، يقف من الحضارة العربية وإسهاماتها موقفا معاديا، لا يراها شيئا، وأن دورها انتهي ، فإذا أرادت مصر أن تنهض فإن عليها أن تتخطاها ، وتعود إلي أصولها الفرعونية، فإذا وجد في التراث العربي ما يفرض نفسه علي الزمن ويعسر إنكاره ، رده إلي أصول غير عربية، لاتينية مسيحية في الأعم الأغلب، فالعرب عنده إما جهلة أو ناقلون . وقد صنع ذلك مع ابن خلدون في مقدمته العظيمة ، فرأه أندلسي الأصل، عاش في الأندلس أعواما، وسفر لأمير غرناطة عند ملكها القطلوني، وأنه كان يعرف لغته القطلونية، وإلا فكيف تحاور معه ؟، وعن هذه اللغة ، عرف ثقافته، ونقل أفكاره . والقضية بهذه الصورة كلها أخطاء ، لأن سفارة ابن خلدون كانت لدى ملك قشتالة، لا قطلونية ، وهذا كان يتكلم اللغة القشتالية ، وهي تختلف عن القطلونية، وكان هذا الملك القشتالي يعرف العربية ، ويوقع بها قراراته : «أنا الملك»، وذلك ثابت فيما وصل من وثائقه . ولم يكن ابن خلدون هو الذي يعرف القطلونية ، أو القشتالية ، إلي تخاريف أخري لا أساس لها من الصحة، ولا تثبت أمام أي نقد .

كان من سوء حظه أن مقولته هذه لم تجد في وقتها من يشجب جهله فيما يدعي، فانتقل الي مثلها مع قمة أخرى من قمم التراث العربي، إلي شيخ المعرة ، أبي العلاء المعري، وزعم أن فلسفته وفكره صدى لفكر المسيحي الذي كان يلف مدينة حلب الشهباء . في تلك الأيام .

بفعل الأديرة التي بها من جانب ، وسيادة الصليبيين علي المنطقة من جانب آخر، وأن أفكار أبى العلاء أخذها عن رهبان التقى بهم فى الأديرة ، وراح ينشر هذا الكلام في الصفحة الأدبية لجريدة الأهرام ،كبرى الصحف العربية قاطبة، ولأنه مدفوع بعوامل نفسية ضاغطة ، غير علمية وحظه من معرفة التراث العربي ، أدبا ولغة وتاريخا ، قليل واهن أو لا شيء، ويقرأ هذا القليل بعاطفته لا بقلبه ، وعاطفته كارهة ، فقد حرف بيتا من الشعر للمعرى قاصدا ، أو غير واع ، وكلا الأمرين واحد ، ليخدم حاجة في نفسه ، والبيت :

صليت جمهرة الهجير نهارا ثم باتت تغص بالصلبان

وصحة البيت «تغص بالصليان» ، والمعنيان جد مختلفان، «فالصلبان» جمع صليب، وهو رمز مسيحى دينى، و «الصليان» نبات، وبتحريف البيت ، أو الجهل بقراءته ، كشف الدكتور لويس نفسه وعلمه من حيث لا يدري .

تصدى العالم الجليل في سلسلة مقالاته ، وكتبها في أوج نضجه الذهنى والفكرى ، وفي قمة غيرته علي العروبة والإسلام ، فصولا فى التحليل والنقد من أثمن ماعرفت العربية ، دفاعا عن تراثها ، وبها أطفأ فتنة ، وأخاف متربصين ، وأخمل الدكتور لويس الذى ولى هاربا مهزوما ، وتخلى عن المعركة ، ووقع على حقيقة أن البحث فى التراث العربي يتطلب معرفة دقيقة واعية به ، وأنه ليس علي شيء من ذلك . فلم يعد إلي تناوله مرة أخرى، وكسبت العربية هذه الفصول النقدية النادرة فى كتاب من جزء ين حمل عنوان : «أباطيل وأسمار».

كتب المرحوم سعيد العريان عن صديقه محمود شاكر ، وعرفه عن قرب ، يقول:

«أديب واسع المعرفة ، له دين ومروءة ، وفيه تحرج وخشية ، وقد نشأ فى بيت له ماض فى الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه ، والذود عن حرماته ، وهو شاب عزب بعيد الخيال ، مرهف الحس ، مرهف الأعصاب ، علي أنه يعيش في ظل وارف، ونعمة سابغة ، فإنه من سعة خياله ودقة حسه وحدة أعصابه ، متشائم النظرة ، لا تراه إلا رأيت فى وجهه وعلي طرف لسانه معنى دفينا من معاني الألم ، وما يرى نفسه في أكثر أحواله إلا غريبا عن هذا العالم وبين هذه الناس ، فإن له من خياله دنيا غير دنيا الناس ، وعالما غير هذا العالم ، يتمثل فيه المثل الأعلي الذى أعياه أن يبلغه علي هذه الأرض ... وكان الرافعى يعتد بصداقته ، ويقر له ، ويعجب بدينه وتقواه ، ويتوقع له مستقبلا مجيدا بين المجاهدين من أهل الأدب ودعاة الإسلام» .

وانه لإجمال كتب قبل أكثر من نصف قرن من الزمان ويغني عن كثير .

جزء خاص

ذكريات حميمة

بقلم : د. محمود الربيعى

أكتب هذه الذكريات في صحواتي المتقطعة من غمرة الحمّي . وهي حمّي تشبه تلك التي كانت تغسل «المتنبي» منذ ألف عام حين كان مقيما بمصر ، وتشبه تلك التي غشيت «محمود شاكر» حين كان يعد كتابه العظيم عن «المتنبي» منذ نصف قرن . لقد سجل «المتنبي» غمراته في قصيدته الرائعة :

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

وسجل «محمود شاكر» غمراته في مقدمة كتابه الفريد الذي أشرت إليه . وأحب أن أقول إنني أغالب الحمي وأنا في غاية السعادة ، ذلك لأنني لا أريد أن تفوتني - وقد طلب إليّ «الهلال» أن أكتب عن «محمود شاكر» - تلك الفرصة السانحة التي تمنيتها طول عمري . هذه ذكرياتي أنا الخاصة الحميمة ، التي قد لا يعلم عنها «محمود شاكر» أي شيء ، أكتبها على سجيتي ، وبحرية مطلقة ، «زلفي» لمحمود شاكر ، وتعبيرا عن أقصي ما يمكن أن يودع في الكلمات ، مما يكنه له قلبي من محبة وتقدير .

فيم يفكر العلامة الكبير محمود شاكر ؟!



محمود شاكر فى يوم مولده



دخلت عليه فى منزله بمصر الجديدة ذات صباح شتائى مشمس منذ أربعين عاما ، فوجدته - فى عباءته البنية الثمينة - يلاعب خادمه - الجنوبى النحيل الهزيل ذا الأعوام السبعة العجاف - لعبة «التحطيب» ، مستخدمين فى ذلك عودين من أعواد قصب السكر، كان الصبى قد اشتراهما لتوه من ماله الخاص . وقفت صامتا أتفرج على ما بدا لى أولا أنه «مباراة هزلية» ، لكن ملامح الصبى - الباسمة الجادة - أخبرتنى أن الأمر أبعد ما يكون عن الهزل . كان الصبى ينتصب كالرمح فى خيلاء وكبرياء ، يحجل فى رشاقة وإتقان ، وكان «محمود شاكر» يحاول المناورة ، ولكن فى ارتباك غير قليل . وسرعان ما أنهى الصبى الجولة «بضربة قاضية» ، تركت آثارها من لحاء القصب على رداء «محمود شاكر» الثمين .

عاد لى «محمود شاكر» - مسلّما بالهزيمة فى وضوح - وجلسنا بين الكتب التى تمتد فى الردهات والأروقة ، وترتفع على الحيطان إلى السقوف ، وتشغل كل حيز تقع عليه العين ، يقرأ لى جهرا ، بصوته القوى الرخيم ، فى ديوان القطامى التغلبىّ (عمير ابن شُييم) من قوله :

إنّا محيّوك فاسلم أيها الطلل ... وإن بَلِيت وإن طالت بك الطّيَل

إلى قوله :

والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل

شخصية مركبة

تجلت لعينى التضاريس العميقة فى شخصية «محمود شاكر» ، بين لحظتين متتابعتين ، تحول من «الماء العذب الجارى» إلى «الصخور الجبلية الوعرة» ، وصح عندى أنه «شخصية مركبة» بمعنى الكلمة ، من النوع الذى وصفه «فورستر» فى كتابه «عناصر الرواية» ، إذ قال إن آية «الشخصية المركبة» - فى ثرائها ، وتعدد طبقاتها - أنها تحقق لك المفاجأة والإقناع فى موقفين متقابلين .

ودخلت عليه بعد ذلك التاريخ بربع قرن من الزمان ، وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة ، بفندق «الشيراتون» فى مدينة الكويت . كان قد جاء إليها ضيفا لإقامة قصيرة ، وكنت أنا أعمل أستاذا فى جامعتها لفترة طويلة فوجدته يعانى من مشكلة «عويصة» : كان

يحاول – وقد أدركته الصلاة – أن يسوى شعر لحيته فلا يستطيع ، إذا وضع نظارتيه تباعد ما بينه وبين المنظر فلا يراه ، وإذا نحاهما لا يراه كذلك نظرا للقرب الشديد ، وقد أخذت عنه الأمر كله ، فانبسطت أساريره ، وقال يسألنى بمرح طفولى : «أين تعلمت الحلاقة» ؟ ولم أجبه يومئذ ، ولكننى أحب أن أجيبه الآن .

حين مات أبى – وكنت فى العاشرة – طابت لى صحبة أحد أعمامى . كان أسمر، مهيبا ، شديد الشبه «بمحمود شاكر» ، وكان يأخذنى إلى «البندر» ، يتعامل هو مع شئون «بنك التسليف الزراعى المصرى» ، وأتمتع أنا «بالعيش المصرى» الطازج ، وأقراص الطعمية الساخنة ، وكان عمى لا يخرج إلى البندر إلا وهو فى كامل هيئته ، مهذب اللحية بصفة خاصة ، وكنت أعرف أنا بخبرتى أن «عم أحمد عجاج» الحلاق لا يصدق وعدا ، كما أعلم أن «الحلزونة» لا تنتظر أحدا . ولما كنت الخاسر الرئيسى من إصرار عمى على تهذيب لحيته قبل الخروج ، ومن حلاق لا يأتى ، «وحلزونة» لا تنتظر ، فقد كنت أعرض على عمى أن أقوم بالمهمة . وقد جربنى مرة ومرة حتى استوت أداة الحلاقة فى يدى ، وأصبحت ماهرا . لم أذكر هذا «لمحمود شاكر» ، ولكننى ذكرت له مرة أنه يشبه عماً من أعمامى فى «جهينة» ، ثم سجلت ذلك فيما كتبته عنه فى سيرتى الذاتية وكان فى كل مرة يرفع حاجبيه دهشا ، ولكنه لم يعلم كم كنت أنا محبا لعمى ، وقريبا إليه .

أخذت «محمود شاكر» – بعد أن هذبت لحيته فأصبح راضيا أنيقا – بسيارتى إلى صلاة الجمعة ، وحين قضيت الصلاة دعانى إلى الانضمام إليه على الغداء عند «جمعة ياسين» فقلت له «إننى غير معزوم» ، فقال لى : «الأكل لا يعزم عليه ! » ، فاستغربت قوله ، وجادلته ، فقال لى بلامبالاة كثيرة : «أنت حر» . وعدت أقود سيارتى إلى «السالمية» حيث أسكن ، ومع طول الطريق ، وخلوه ، ونعومته ، وانتظام حركة السيارة ، أعدت تقييم الموقف الذى جرى بينه وبينى ، وقارنت بين نظرته «الواسعة» إلى الموضوع ، ونظرتى «الضيقة» إليه ، ومع أننى لم أكن لأغيّر رأيى لو عاد الموقف إلى ما كان عليه ، فقد خجلت من نفسى ! .

● مودة متبادلة

فى المساء (مساء اليوم ذاته ، أو مساء يوم آخر – لا أتذكر) دخلت عليه فى بيت «جمعة ياسين» ، صحبة أحمد مختار عمر ، وأبو المعاطى أبو النجا . كان يتصدر المجلس الحافل ، فى جمال ومهابة ، مشتملا عباءة صاحب البيت ، وقد جال الحديث كلّ مجال ، ثم انتهى إلى موضوع «تعلم اللغات الأجنبية » ، وعبّر هو عن فكر ، وعبرت عن فكر مخالف . لم أكن فى مخالفتى حادا أو جدِلا – وكذلك حالى دائما معه – ولكنه

محمود شاكر فى يوم مولده



غضب غضبة كبرى ، وهبّ واقفا ، وتقدم يقطع الطريق الطويل بينه وبيني . كان يهدر كالرعد ، ولكنه لم ينعتني بنعت واحد مما سمعته يوجهه كثيرا إلى معارضيه . وحين كان فى منتصف المسافة ، نهضت توقيرا له ، فتوقف ، ثم كر راجعا إلى مجلسه ، وعلى وجهه – فيما ظننت – شبه ابتسامة . يومها صح عندى أنه يكن لى مودة هى بعض ما أكنه له ، وأنه لايهاجمنى ، وإنما يمارس عملا يجيده من أعمال الفروسية ، ويروض «خصمه» نوعا من الرياضة العنيفة ، وقلت لصاحبيّ فى طريق العودة : من يخبر المتنبى بأن الليث قد يبتسم ؟

منذ أن استقر بى المقام فى القاهرة اعتاد على أن يدعونى لغداء يوم «عاشوراء» ، وقد نقل إليّ من نقل أن «محمود شاكر» قال – حين سمع أنه أسند إليّ منصب إدارى – : « ألم تجدوا غير هذا العيِّل» ، فصح عزمى على أن أغضب منه ، وقلت لمن أبلغنى : «يبدو أن معنى «العيلنة والرجولة» يحتل فى ذهن «الأستاذ» صورة لا أفهمها ». وحين جاءنى رسوله يدعونى إلى غدائه رفضت الذهاب ، وأبديت السبب ، فأبلغه الى «محمود شاكر» . ولم أكن قد تلقيت منه إلى ذلك الحين مكالمات تليفونية قط ، فقد كنت أنا الذى أزور ، وأنا الذى أتصل . وقد حصل على رقم تليفونى بلهفة، وحصل عليه بمشقة – فيما أخبرت بعد ذلك – وجاءنى صوته ثابتا رفيقا يطلب منى أن أنتظره فى بيتى لأنه سيمر عليّ ، وذكر لى السبب . رددت عليه قائلا : لن تغير عادتك ، ولن أغيِّر عادتى ، سأمر أنا عليك ، وزرته ، وجلست منه بحيث أجلس كل مرة ، وصمتنا أكثر مما تحدثنا كما هى العادة، ولم يشر هو إلى الموضوع بكلمة ، ولا أشرت أنا ، وعادت مياهنا – منذئذ – إلى مجاريها .

قالت لى «عايدة الشريف» (والعهدة عليها) إنه إذا افتقدنى فى المجلس ظل واجما ، فقلت لنفسى : «إنه يُبجّحنى فهل يضمن ألا تَبجْح إليّ نفسى ؟» ، وكان يعلن لى دائما أننى تخليت عن جادة الطريق حين تركت دراسة تراث الأمة (وقد أشرت إلى «القطامى») إلى دراسة الأدب الحديث (ورأيه فيه معروف لا أكرره ، كما أن رأيه فى المستشرقين ، الذين درست على واحد منهم ، معروف) ، وكنت أقول له إن مادة العلم – كبلاد الله – واسعة ، وإن العبرة بالجهد الذى يبذل ، والانقطاع إلى المعرفة الذى يتم ، والبرهنة التى

يقدمها المرء على صحة ما وصل إليه ، ثم الثبات على المبدأ الصحيح فى جميع الأحوال . وقد قدمت له كل نتيجة جهدى المكتوب فما علق عليه بكلمة ، ثم قدمت له سيرتى الذاتية التى نشرتها بعنوان «فى الخمسين عرفت طريقى» ، وفيها صفحات عنه . كنت فى خجل أن يظن بى الظنون (ومن أنا حتى أرى حياتى جديرة بالتسجيل !) ، واهتديت إلى حيلة أسهل بها أمرى لديه ، فاستعرت من «المتنبى» ما كتبته فى صدر النسخة التى أهديتها إليه :

عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتُبا
فبوركت من غيث كأن جلودنا ... به تنبت الديباج والوشي والعصبا
هنيئا لأهل الثغر رأيك فيهمو ... وأنك حـزب الله صرت لهم حزبا

ثم زدت فأهديت ابنه «فهر» نسخة كتبت عليها شطر بيت «للمتنبى» أيضا هو :

حبيب إلى قلبى حبيب حبيبى

قال لى حين كان يودعنى ذلك المساء : «شكرا على الإهداء» ، وفي اليوم التالى كلمنى بالتليفون «لثانى مرة فى حيـــاتى» وقال لى : «إننى لم أترك الكتاب حتى انتهيت من قراءته ، وكان ذلك فى الثالثة صباحـا» ثم أردف هـــذا بعبارة أربكتنى : «ولماذا لم تقل إنك تكتب ، فأنت عادة تجلس صامتا !» ، وضعتنى عباراته بين الحزن والفرح . إنه لم يقرأ كتبى التى قدمتها إليه على طول السنين ، أو تراه قد قرأ ولم يرتح لشىء مما قرأ ؟ ومع ذلك ، حسبى أن «طريقتى فى الكتابة» قد لفتت نظره .

● معارك محمود شاكر

لم أر فى حياتى مثل هذا الكم الهائل من «الحنان المغلف بالقسوة» كما رأيته عند «محمود شاكر» . رأيت فى بيته طفلا تطفر السعادة من عينيه لأن «محمود شاكر» نعته بأنه «حيوان أعجـــم» ، وقد فهم الطفل الرسالة ، وظل يرددها لنفسه حتى تحولت فى فمه «الألثغ» إلى لحن فى غاية الجمال ، وكان لا يزال يتغنى بهذا الوسام الذى وضعه على صدره «محمود شـــاكر» حين فارق الحفل مع أمه فى آخر المسـاء ، فتبعته عينى وقد أعدتنى سعادته . ثم تأملت معارك «محمود شاكر» الهادرة جميعا فى ضوء ما وضعتنى فيه حـــالة ذلك الطفل السعيد ، إنه لا يخاصم ولا يعـــارك ، وإنمـــا يؤدى ما عنده أداء يستجيب فيــه - بطريقته - إلى عواطفه وأفكاره .

كتبت فى «الهلال» مرة أنوه بالمكانة العالية التى وضع فيها «محمود شاكر» أبا الطيب المتنبى حين ألحق نسبه بالعلويين ، فى حين جعله كثير من رواة الأخبار ابن سقاء فى الكوفة ، وكنت أظن أنه سيرضى عما كتبته ، ولكنه - على العكس - قال لى غاضبا : «يا أستاذ أنا لم أرفع «المتنبى» بذلك ولكننى أثبت حقيقة نسبه» ، لم يكن فى نبرته غضب

محمود شاكر في يوم مولده



فقد كان يتكلم في غاية الهدوء ، ولكنني - لمعرفتي به - أدركت مقدار غضبه عليّ ، ذلك أنه أبعدني مسافات منه حين خلع عليّ لقب «أستاذ» ، وقد فهمت غرضه ، وترضيته .

لا يرضى «محمود شاكر» أن ينعت بأنه «محقق» للتراث . وهو محق في ذلك كل الحق ، وكنت في البداية أعجز عن إدراك السبب الذي من أجله يرفض هذا النعت ، ثم لما قرأت «قراءته وشرحه» (لا تحقيقه) لابن سلّام ، وكتابه «برنامج كتاب طبقات فحول الشعراء» ، ثم عمله في كتابيْ عبد القاهر الجرجاني «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» ، ومن قبل ذلك درسه الرائد لشعر «المتنبي» ، وكلامه عن «أبي العلاء» ، ثم لما قرأت «القوس العذراء» ، واستمعت الى ما جاد به عليّ من شعر أنشده على مسمعي ومسمع فاروق شوشة ، أحسست أن «محمود شاكر» إنسان مختلف عن كل من قد يتزيّون بزيه الظاهر . أولى به أن يوصف بأنه المرادف الحي الذي يمشي بيننا «للغة العربية» الأم ، أو «الروح العربية» الأم ، أو «الشعر العربي» الأم ، أو أنه «اختزال فعال» لكل ما تعنيه كلمتا «العرب» و «العربية» .

● مع أبي العلاء المعري

وتتبعت بشغف بالغ الأبيات الشعرية التي يقتبسها من «المتنبي» و «المعري» خاصة ، ويثبتها في صدر مقالاته ، وعناوين كتبه ، وفصولها ، فرأيت فيها عجبا . ليست معرفته بهذه الكنوز وحدها هي التي تبهرني ، إنما يبهرني إلى جانب ذلك - بل قبله - ذلك التوظيف الدقيق للشواهد ، حتى ليبدو الأمر وكأن ما قاله هذان الشاعران من ألف عام يقف ملتحما باللحظة التحاما حميما ، يرى فيه الماضي والحاضر متزامنين ، ذلك بعض من سر «محمود شاكر» مع لغته ، أما سره الآخر الأكبر فيمكن إدراكه في عبارته التي لا تقلد ، وجُمله المحكمة - أصلية ومعترضة - وعلامات الترقيم لديه، وأسلوبه في البرهنة ، ومزجه الذات بالموضوع ، وسخريته الشفيفة ، وخطته المرنة في الكر والفر ، وروحه اللعوب ، وحزنه الذي يلوح آنا ، ويختفي آنا . وأنا أشبه كتابته بالعمل الفني الابتكاري ، الذي يولد متمهلا أمام أعيننا ، ويتطور متمهلا أمام أعيننا ، ويبلغ مداه متمهلا أمام أعيننا ، ويحقق مغزاه الكامل متمهلا أمام أعيننا .

قدم لي «محمود شاكر» معظم كتبه هدية على مدى الأربعين عاما التي عرفته فيها . كان يمد يده لي بالكتاب في صمت ، فأتناوله في صمت . وكنت في البداية أحزن قليلا



محمود محمد شاكر بين أفراد أسرته .. الزوجة والابن والابنة يحتضنهم بحنان وحب

ألا أجد عبارة إهداء على الكتاب منه إلى ، ولكنى مع مرور الزمن أصبحت أقنع بالنظرة الودود التى تصاحب مد يده الى بالكتاب ، وفى مرة واحدة وجدت «بالأحمر الجاف» عبارة : «إلى أخى محمود الربيعى .. » ترصع صدر الجزء الأول من كتاب «المتنبي» ، الذى صدرت طبعته الثانية فى جزءين ، لقد «آخانى» إذن، واختار لى هذه المكانة التى لا أطمح إلى أرفع منها .

فى السنوات الأخيرة من ترددى على بيت «محمود شاكر» سمعت همسا يسرى - وبخاصة بين الشباب من ذوى قرابته - مشيرا إليه بأنه «الباشا» . وقد ظننت فى البداية أن هذا لا يعدو كونه صورة لما طرأ على لغة المجتمع من «تضخم» فى لغة الخطاب العام، إذ أصبح الجميع تقريبا «باشاوات» ، ومع ذلك استنكرت هذا فيما بينى وبين نفسى ، إذ كيف يخلط بين ما يخاطب به «محمود شاكر» وما يمكن أن يخاطب به غيره من المحسوبين على الثقافة من أصحاب «الابتسامات - العاج» ، و «العيون - الخرز» ؟ وقد تضاعف استنكارى حين رأيت اللقب يخرج من حدود «الشفاهية» الى حدود «الكتابية»، بل والبحث له عن تأصيل تاريخى .. وأنا أشير هنا إلى مخطوطة جميلة عرضت عليّ مكتوبة عن حياة «محمود شاكر» . ومع أنى لست فى حل من الكلام عنها، لأنها لم تر النور بعد ، فإننى لن أكون سعيدا أن يثبت تاريخيا أن «محمود شاكر» الذى أعرفه هو «محمود شاكر باشا» ، وأستريح إلى أن أفكر فيه دائما على أنه - وكما اختار هو أن يخاطبنى - «أخى محمود شاكر» .

محمود محمد شاكر

ومنهجه فى تحقيق التراث

بقلم : د. محمود الطناحي

تحقيق النصوص علم له قوانينه وأعرافه ومصطلحاته وأدواته، وله جانبان : جانب الصنعة وجانب العلم . فأما جانب الصنعة فهو ما يتصل بجمع النسخ المخطوطة للكتاب المراد تحقيقه، والموازنة بينها ، واختيار النسخة الأم، ثم ما يكون بعد ذلك من توثيق عنوان المخطوط واسم المؤلف ونسبة المخطوط إليه ، ونسخه والتعليق عليه ، وتخريج شواهده وتوثيق نقوله ، وصنع الفهارس الفنية اللازمة. فهذا كله جانب الصنعة الذى يستوى فيه الناس جميعا ، ولا يكاد يفضل أحد أحداً فيه إلاّ بما يكون من الوفاء بهذه النقاط أو التقصير فيها.

وأما جانب العلم في تحقيق النصوص فهو الغاية التى ليس وراءها غاية، وهو المطلب الكبير الذي ينبغى أن تصرف إليه الهمم ، وتبذل فيه الجهود، ولاءً لهذا التراث العريق ، وكشفا لمسيرتنا الفكرية خلال هذه الأزمان المتطاولة، وعدّة المحقق في ذلك هى معرفة الكتب العربية فى كل فن، وحسن التعامل معها والإفادة منها؛ لأنه فى كل خطوة يخطوها مطالب بتوثيق كل نقل وتحرير كل قضية، بل إن المحقق الجادّ قد يبذل جهدا مضنيا لا يظهر في حاشية أو تعليق ، وذلك حين يريد الاطمئنان إلى سلامة النص واتساقه .

وقد مر تاريخ نشر التراث في ديارنا المصرية بأربع مراحل : المرحلة الأولي : مطبعة بولاق والمطابع الأهلية ، ومرحلة الناشرين النابهين، ومرحلة دار الكتب المصرية، ومرحلة الأفذاذ من الرجال .



أى سر من أسرار النص العربى كانا يتأملانه خلال قراءة كتاب ألف باء !!

وفى المرحلة الأولى نشرت النصوص التراثية خالية من دراسة الكتاب وترجمة مؤلفه وذكر مخطوطاته وفهرسته، وإن كان النشر فى هذه المرحلة قد اتسم بالدقة المتناهية والتحرير الكامل، إذ كان يقوم على التصحيح فئة من أهل العلم، منهم الشيخ نصر الهوريني، والشيخ محمد قُطّة العدوى. والمرحلة الثانية عُنيت إلى حد ما بجمع النسخ المخطوطة للكتاب، وذكر ترجمة المؤلف، وبعض الفهارس، وتعرف هذه المرحلة بتلك الأسماء : أمين الخانجى، ومحب الدين الخطيب، ومحمد منير الدمشقى، وحسام الدين القدسى، وكلهم من أهل الشام . والمرحلة الثالثة، هى مرحلة دار الكتب المصرية، وفى هذه المرحلة أخذ نشر التراث يتجه إلى النضج والكمال من حيث جمع نسخ الكتاب المخطوطة من مكتبات العالم ، وإضاءة النصوص ببعض التعليقات والشروح، وصنع الفهارس التحليلية، وما يسبق ذلك كله من التقديم للكتاب وبيان مكانه فى المكتبة العربية، وقد تأثر هذا المنهج إلى حد ما بمناهج المستشرقين الذين نشطوا فى نشر تراثنا وإذاعته منذ القرن الثامن عشر، وقد وقف على رأس هذه المرحلة أحمد زكى باشا شيخ العروبة .

● أعلام فى ميدان التحقيق

أما مرحلة الأفذاذ من الرجال فهى مرحلة : أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر وعبدالسلام هارون، والسيد أحمد صقر، وقد دخل هؤلاء الأعلام ميدان التحقيق والنشر مزودين بزاد قوى من علم الأوائل وتجاربهم، ومدفوعين بروح عربية إسلامية عارمة ، استهدفت إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث الكاشفة عن نواحى الجلال والكمال



فيه. ومن أعظم آثار هذه المرحلة تحقيق هذه الأصول :

الرسالة للشافعى، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة .

وإن اتفق أعلام هذه المرحلة فيما ذكرت، فإن أبا فهر محمود محمد شاكر يقف وحده من بينهم ، وينفصل عنهم بأمرين ، الأول : أنه صاحب قضية ، صحبته وأرقته منذ النَّأْنَأة - أى منذ صباه ونشأته الأولى - وهى قضية أمته العربية ، وما يُراد لها من كيد فى لغتها وشعرها وتراثها كله ، وقد أبان عن هذه القضية فى كل ما كتب، وبخاصة فى كتابيه : أباطيل وأسمار ، ورسالة فى الطريق إلى ثقافتنا، ثم نثرها فيما دق وجل من كتاباته ، وما برح يعتادها فى مجالسه ومحاوراته، يهمس بها حينا، ويصرخ بها أحياناً أخرى، لا تفرحه موافقة الموافق ، ولا تحزنه مخالفة المخالف .

ولقد حكمت هذه القضية الضخمة أعمال أبي فهر كلها ، وهى التى وجّهته إلى تحقيق التراث، فكان عمله فى نشر النصوص جزءاً من جهاده فى حراسة العربية والذود عنها ، سواء فيما نشره هو، أم فيما حثَّ الناس على نشره وأعانهم عليه.

الأمر الثانى : أن أبا فهر دخل إلى ميدان تحقيق التراث بثقافة عالية وقراءة محيطة أعتقد جازماً أنها لم تتيسر لأحد من أبناء جيله، سواء من اشتغلوا بتحقيق التراث أم من انصرفوا إلى التأليف والدرس. لقد ألقى هذا الرجل الدنيا كلها خلف ظهره ودَبْرَ أذنيه، واستوى عنده سوادها وبياضها، وخلا إلى الكتاب العربى فى فنونه المختلفة، والمكتبة العربية عند أبى فهر كتاب واحد - فهو يقرأ صحيح البخارى كما يقرأ الأغانى، ويقرأ كتاب سيبويه قراءته لمواقف عضد الدين الإيجي، وقد قلت عنه مرة بالتعبير المصرى «إنه خد البيعه على بعضها» وقد كشف هو نفسه عن ثقافته وأدواته ، فقال بعد أن حكى محنته عقب ذلك الزلزال العنيف الذى رجه رجا حين خرج المستشرق الإنجليزى «مرجليوث» بمقالته عن نشأة الشعر العربى ، وما أثاره من شك حول صحة الشعر الجاهلى ، وما كان من متابعة الدكتور طه حسين لهذه المقالة، فى كتابه «فى الشعر الجاهلى». يقول فى صدر رسالته فى الطريق إلى ثقافتنا «قد أفضى بى ... إلى إعادة قراءة الشعر العربى كله أولا ، ثم قراءة ما يقع تحت يدى من هذا الإرث العظيم الضخم المتنوع من تفسير وحديث وفقه ، وأصول فقه وأصول دين (هو علم الكلام) وملل ونحل ، إلى بحر زاخر من الأدب والنقد والبلاغة والنحو واللغة، حتى قرأت الفلسفة القديمة والحساب القديم والجغرافية القديمة، وكتب النجوم وصور الكواكب، والطب القديم ومفردات الأدوية ، وحتى قرأت البيزرة والبيطرة والفراسة، بل كل ما استطعت أن أقف عليه بحمد الله سبحانه ، قرأت ما تيسر لي منه، لا للتمكن من هذه العلوم المختلفة، بل لكى ألاحظ وأتبين وأزيح الثرى عن الخبيء والمدفون .

فهذه هى ثقافة أبى فهر التى دخل بها ميدان تحقيق التراث، الذى اختار هو من عند نفسه نصوصه وأصوله، لم يملها أحد عليه، ولم يطلبها أحد منه، وكان من أبرز هذه النصوص : طبقات فحول الشعراء لابن سلام، وتفسير الطبرى (١٦ جزءا) وتهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، للطبرى (ستة أجزاء)، وجمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (جزء منه). ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، كلاهما للشيخ عبد القاهر الجرجانى. إلى نصوص أخرى نشرها قديما : فضل العطاء على العُسْر لأبى هلال العسكرى، والمكافأة وحسن العقبى، لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية، وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزى (جزء منه) .

ومما يستطرف ذكره هنا أن أول كتاب تراثى يضع فيه أبو فهر قلمه بالتحقيق هو كتاب أدب الكاتبَ لابن قتيبة، الذى أخرجه الشيخ محب الدين الخطيب عام ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧، أى منذ (٧٠) عاما، وكان عمره إذ ذاك (١٨) عاماً، وقد شاركه تصحيح صفحات من الكتاب أستاذنا عبد السلام هارون ، بردّ الله مضجعه .

وفى هذه الأصول التراثية التى أخرجها أبو فهر، يظهر علمه الغزير الواسع الذى لا يدانيه فيه أحد من أهل زماننا، لأنه علم موصول بكلام الأوائل، منتزع منه ودال عليه ومكمِّل له، والشيخ - حرس الله مهجته - يسير فى طريق الفحول، لا تَخْرِم مِشْيَتُه مِشْيَةَ واحد من الصدر الأول .

وقبل أن أستطرد إلى ذكر أمثلة من منهج أبى فهر فى تحقيق التراث ، أحبّ أن أضع أمامك أيها القارىء الكريم مثالاً واحداً على دوران قضايا التراث فى عقل هذا الرجل، وأنها شغله الشاغل وهمه الناصب :

أصل فى علم البلاغة

أخرج أبو فهر كتاب الشيخ عبدالقاهر الجرجانى «دلائل الإعجاز» عام ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤م، وكانت طبعته الأولى عام ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣م، وقد أخرجها الشيخ محمد رشيد رضا. وهذا الكتاب يعد أصلا فى علم البلاغة وإعجاز القرآن، وكان مما عالجه الشيخ عبد القاهر فيه الرد على من يقولون «إن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة» وقد عرَّض الشيخ عبد القاهر بأصحاب هذه المقالة فى مواضع كثيرة من كتابه، كان منها قوله «واعلم أن القول الفاسد والرأى المدخول إذا كان صدره «أى صدوره» عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة فى أنواع من العلوم غير العلم الذى قالوا ذلك القول فيه، ثم وقع فى الألسن، فتداولته ونشرته، وفشا وظهر، وكثر الناقلون له ، والمشيدون بذكره، صار ترك النظر فيه سنَّة والتقليد دينا» دلائل الإعجاز ٤٦٤، ٤٦٦، وانظر مقدمة التحقيق .



ويسأل الشيخ أبو فهر : من يكون هؤلاء القوم الذين لهم نباهة وصيت... إلى سائر ما وصفهم به الشيخ عبدالقاهر؟ يقول أبو فهر : وفتَّشت ونقَّبت ، فلم أظفر بجواب أطمئن إليه ، وتناسيت الأمر كله إلا قليلا ، نحوا من ثلاثين سنة، حتى كانت سنة ١٣٨١ هـ = ١٩٦١م وطبع كتاب «المغني» للقاضي عبد الجبار الفقيه الشافعي المعتزلى، فى تلك السنة صدر الجزء السادس عشر من كتاب «المغنى» فإذا هو يتضمن فصولا طويلة فى الكلام على «ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وفى إعجاز القرآن وسائر المعجزات الظاهرة عليه صلى الله عليه وسلم». فلما قرأته ارتفع كل شك وسقط النقاب عن كل مستتر، وإذا التعريض الذى ذكره عبدالقاهر حين قال «واعلم أن القول الفاسد والرأى المدخول .. لا يعنى بهذا التعريض وبهذه الصفة أحداً سوى قاضى القضاة المعتزلى عبد الجبار». وبعد ذلك نقل أبو فهر عبارة القاضى عبد الجبار، من كتابه «المغنى» وهى «أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة».

أرأيت أيها القارىء الكريم ؟ هذه ثلاثون عاماً تصرَّمت من الزمان، والقضية فى بال الرجل، كأنها هَمُّ الليل والنهار، قضية حية فى عقله، جارية فى دمه ، لم تسقط بالتقادم، ولم تنسحب عليها ذيول النسيان ! ومثل هذه القضية كثير فى كل ما كتب أبو فهر فى اللغة والشعر، وسائر علوم الأمة، ولا نفيض فى هذا لأن القصد الآن الكشف عن منهج الشيخ فى تحقيق التراث، وهو منهج صعب شاق، لأنه مباين لكل ما ألفه الناس الذين اشتغلوا بنشر الكتب من عرب وعجم، إذ كان قائما على الجد والصرامة والاتقان، مستنداً إلى قراءة واسعة محيطة ، مع الذكاء الشديد اللمّح، والحفظ الجامع الذى لا يتفلت ولا يخون .

● الشيخ شاكر واللغة

وأول ما يلقانا من منهج أبى فهر : اللغة ، حروفا وأبنية وتراكيب ، فقد استولى من ذلك كله على الأمد. واللغة هى الباب الأول فى ثقافات الأمم ، وإهمالها أو التفريط فيها، أو السخرية منها ، هدم لتاريخ الأمم، ومحوٌ لها من الوجود. وعناية أبى فهر باللغة قديمة، ومن أقدم ما كتب فيها ما نشره بالمقتطف عام ١٩٤٠، بعنوان (علم معانى أسرار الحروف – سرٌ من أسرار العربية)، وفى الفترة القليلة التى شارك فيها فى إخراج مجلة «المختار» استطاع أن يقدم مستوى عاليا للترجمة الصحفية لم يُعرف من قبل ، وأدخل جملة من المصطلحات الجديدة فى اللغة التعبير عن وسائل واختراعات حديثة من نوع «الطائرات النفاثة» ، ومازال الجيل الذى عاصر «المختار» من الصحفيين المعاصرين يعتبرون عناوين «المختار» التى كان يصوغها نموذجاً يحتذى . وطالما ذكر صديق عمره

يحيى حقي، رحمه الله ، فضله عليه في التنبه لأسرار اللغة وفنيّة استخدامها والتعامل معها .

وإجلال أبي فهر للغة والحذر في استعمالها واضح لائح في كل ما كتب وفي كل ما حقق. يقول تعليقا على كلام لأبي جعفر الطبري ، في تفسير قوله تعالى «فأتوا حرثكم أنى شئتم» «حجة أبي جعفر في هذا الفصل، من أحسن البيان عن معاني القرآن، وعن معاني ألفاظه وحروفه، وهي دليل على أن معرفة العربية وحذقها والتوغل في شعرها وبيانها وأساليبها، أصل من الأصول، لا يحلّ لمن يتكلم في القرآن أن يتكلم فيه حتى يُحسِنه ويحذقه» تفسير الطبري ٤١٦/٤ .

ومعلوم أن من عدّة المحقق معرفة غريب اللغة حتى يتمكن من تصحيح ما يصادفه من ذلك التصحيف والتحريف الذي مُنيت به بعض مخطوطاتنا، نتيجة لجهل النُسّاخ، أو عوامل الزمن. ولأبي فهر في ذلك وقفات كثيرة وتصحيحات، منها :

جاء في تفسير الطبري ٥٢٨/٨، من قول أبي جعفر الطبري ، في الآية ٦٥ من سورة النساء «وإذا قرىء كذلك فلا مَرْزِئَةَ على قارئه في إعرابه» ويعلق أبو فهر «المرزئة - بفتح الميم وسكون الراء وكسر الزاي - مثل الرّزء والرزيئة، وهو المصيبة والعناء والضرر والنقص... وكان في المطبوعة والمخطوطة «فلا مرد به على قارئه» وهو شيء لا يفهم ولا يقال ».

وجاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ١٠٦ قول كعب بن زهير :

ألا أبلغـــا هـــذا المعـــرِّض آيـــةً

أيقظان قـــال القـــول إذ قـــال أو حَلَمْ

ويشير أبو فهر في الحاشية إلى أن الرواية في ديوان كعب، والاستيعاب لابن عبد البرّ «أنه» مكان «آية» ثم يقول : وهي ضعيفة جدا ، والصواب ما في مخطوطة ابن سلّام، وقد جاء أبو جعفر الطبري بهذا البيت شاهدا على أن الآية : القصّة ، وأن كعبا عنى بقوله «آية» رسالة مني وخبرا عني ، قال أبو فهر :

والآية بمعنى الرسالة لم تذكره كتب اللغة، ولكن شواهده لا تعد كثرة ، ومن ذلك قول حجل بن نضلة :

أبلغْ معـــاوية الممزِّق آية ... عنّي فلست كبعض ما يُتقوّل

وقول أبي العيال الهذلي:

أبلغ معاوية بن صخـــر آيةً ... يَهْوِى إليك بها البريدُ الأعجلُ

وهذا تفسير واضح في الشعر ، وأوضح منه قول القائل :

أتتني آية من أمّ عمـــرو ... فكدت أغَصُّ بالماء القَراح

فما أنسى رسالتها ولكن ... ذليل مـــن ينوء بلا جنـــاح



لتصحيف ، يعد إضافة إلى مواد المعجم العربى .
ومن هذا الباب - باب التقاط اللغة من كتب العربية ، مما لم تقيّده المعاجم المتداولة - ما جاء فى تفسير الطبرى ٢٤٨/١٦ ، يقول أبو جعفر «وقوله تعالى (يأتِ بصيرا) يقول : يَعُدْ بصيرا» ويعلق أبو فهر «هذا معنىً يقيد فى معاجم اللغة، فى باب «أتى» بمعنى «عاد» وهو معني عزيز ، لم يشر إليه أحد من أصحاب المعاجم التى بين أيدينا».

ومن تصحيحاته اللغوية العجيبة ما جاء فى تفسير الطبرى ١٨٢/٩ «فجاء اليهودى إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم يهْنِفُ» ويعلق أبو فهر فيقول «فى المطبوعة والمخطوطة - من تفسير الطبرى - «يهْتِف» بالتاء، كأنه أراد يصيح ويدعو رسول الله ويناشده ولكنى رجحت قراءتها بالنون ، من قولهم : أهنف الصبى إهنافاً : إذا تهيأ للبكاء وأجهش ، ويقال للرجال : أهنف الرجل : إذا بكى بكاء الأطفال من شدة التذلُّل . وهذا هو الموافق لسياق القصة فيما أرجّح .

ومن ذلك أيضا ما علّق به على قول ابن سلاّم فى الطبقات ص٥ «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم» يقول أبوفهر «كتب فى المخطوطة «صناعة» بكسر الصاد ، ثم ضُرب على الكسرة (أى شُطب) ووُضع على الصاد فتحة ، وكذلك فعل بعد فى لفظ «الصناعات»، وقد خلت كتب اللغة من النصّ على «صَناعة» بفتح الصاد ، إلا أنى وجدت فى كتاب «الكلّيات» لأبى البقاء ما نصُّه : «والصَّناعة بالفتح تستعمل فى المحسوسات، وبالكسر فى المعانى» ولكن إجماع كتب اللغة على ذكر «الصِّناعة» بالكسر ، وأنها حرفة الصانع وعمله بيديه، دالٌ على أن «الصَّناعة» بالفتح فى المعانى دون المحسوسات ، وأنها الحِذق والدُّربة على الشىء» .

وتأمَّلْ صنيعَ أبى فهر ، لقد أفاد من صاحب «الكليات» ضبط «الصناعة» بفتح الصاد ، لكنه خالفه فى توجيه معناه !

● تصحيح الكلام

على أن من أعجب ما ألقاه الله على قلب هذا الرجل ، من تصحيح الكلام الذى شاع خطأه فى الكتب ، ولم يتنبه له أحد ، ما جاء فى قصيدة عبدالله بن الزبعرى يوم أحد يرثى قتل المشركين (طبقات فحول الشعراء ص٢٣٨) :

حين ألقَتْ بقَناةٍ بركها   واستحرَّ القتلُ فى عبد الأشَلْ

يقول أبو فهر : «فى جميع ما وقع فى يدىَّ من الكتب «بقباء» - يعنى مكان «بقناة» - وقباء قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، فهى إلى جنوب المدينة . وهذا أمر مشكل كل الإشكال ، فلم أر أحدا ذكر أن القتال يوم أحد نشب فى

قباء ، وجبل أحد فى شمال المدينة بينها وبينه ميل أو نحوه ، ويقول البكرى فى معجم ما استعجم ١١٧ «أحد : جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها» وقناة هذه التى ذكرها البكرى أحد أودية المدينة، واد يأتى من الطائف حتى يمر فى أصل قبور الشهداء بأحد . فأكاد أرجح أن فى رواية هذا الشعر خطأ قديما جدا ، وأن صواب الرواية ما أثبته فى الشعر» .. وانظر بقية كلامه فإنه نفيس جدا .

وبعد ذلك البيت يقول ابن الزبعرى :

فقبلْنا النصف من ساداتهم
وعدلْنا ميل بدرٍ فاعتْدل

ويقول أبو فهر : وهذا أيضا بيت تكثر روايته فى سائر الكتب «فقتلنا النصف»أو «فقتلنا الضعف» وهو خطأ كله؛ فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة، فإن من شهد القتال من المسلمين فى يوم أحد سبعمائة ، قتل منهم أربعة وسبعون من الشهداء، ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين ، فإن عدَّة قتلى بدر من المشركين سبعون أو أربعة وسبعون . وإنما أراد ابن الزبعرى أنهم قتلوا من المؤمنين فى أحد مثل الذى قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم، أى أخذوا حقهم كاملا حتى صاروا على النصف سواء .. يقول : قبلنا يومئذ العدل واكتفينا به، فقتلنا من سادتهم فى أحد مثل عدَّة من قتلوا من سادتنا فى بدر .

ويدل على ذلك قوله «فعدلنا ميل بدر فاعتدل» أى صار سواء لم ترجح كفة على كفة».

ويتصل باللغة النحو ، ولأبى فهر فيه وقفات جياد ، تدل على حسن نظر وتمام فقه ، ويلقاك هذا فى كثير من تعليقاته وحواشيه، وحسبك أن تقرأ فى مقدمة كتابه «رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا» شرحه لعبارة سيبويه التى جاءت فى أول كتابه «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع» فقد أدار على هذه العبارة كلاما عاليا لم يذكره أحد من شراح سيبويه، ولا من غيرهم من النحاة.

ويرى النحاة أن جذيمة الأبرش الشاعر الجاهلى القديم قد ارتكب ضرورة نحوية فى قوله:

ربما أوفيت فى علم
ترْفَعَنْ ثوبى شمالات

حيث أكد الفعل «ترفع» بالنون الخفيفة، وليس هذا من مواضع التوكيد؛ لأنّ الكلام موجَب ، فأنت لا تقول : «أنا أقومنّ إليك» ويعلق أبو فهر : «ويقول النحاة: زاد النون فى «ترفعن» ضرورة ، وأقول إنها لغة قديمة لم يجلبها اضطرار» طبقات فحول الشعراء ص ٣٨ ، وزاد ذلك بيانا فى كتابه الفذ : أباطيل وأسمار ، فقال فى ص ٣٨٧ «وقال «ترفعن ثوبى» ولم يقل «ترفع أثوابى» وارتكب تأكيد الفعل بالنون فى غير موضع تأكيده ؛ لأنه



جعله فى حيز كلامٍ مؤكدٍ حذفه ، ليدل على معنى ما حذف، كأنه قال : «ترفع ثوبى شمالات ، ولترفعنَّه هذه الرياح الهوج، مهما جهدت أضمُّ علىَّ ثوبى وأجمعه ، فلما حذف «ولترفعنه» ارتكب تأكيد الفعل الأول فى غير موضع تأكيد»

قلت : وقد دلّنا شيخنا أبو فهر مشافهة - علي موضع آخر لهذه الظاهرة النحوية، فى شعر لحسّان السّعدى ، وهو من أقدم ما قيل فى الجاهلية، وهو قوله:

أرى الموت ممن شارك الماء غاية
له أثر يجرى إليه ومنتهى
فلا ذا نعيمٍ يتْرُكَنْ لنعيمه
وإن قال فرِّطْنى وخذ رشوة أبى
ولا ذا بؤوس يتْرُكَنْ لبؤوسه
فتنفعه الشكوى إذا ما هو اشتكى

النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ص ٣٥٨

أما البصر بمعانى الشعر ، والوقوف عند وقائعه ، وترجيح رواياته ، فقد أوفى فيه أبو فهر على الغاية ، والشعر كان ولايزال هو مدخله إلى ثقافة هذه الأمة وحضارتها ، وكانت قضية انتحاله والشك فيه هى المفجّر الأول لطاقاته وإبداعه، ثم كانت هى الدافع له إلى أن يظهر على فروع الثقافة العربية كلها ، ولا سبيل إلى ذكر كل تجليات أبى فهر فى فهم الشعر وتذوقه ، وتخطئة الأقدمين والمحدثين فى فهمه، فذلك مما يحتاج إلى سفر خاص، ولنكتف بذكر مثال واحد :

أنشد أبو جعفر الطبرى فى تفسيره ٤٧٣/٩ هذا الرجز المشهور لرشيد بن رميض العنزى - وهو الذى أنشده الحجاج بن يوسف الثقفى فيما بعد :

قد لفَّها الليل بسوَّاق حُطَمْ ... ليس براعى إبل ولا غنم
بات يقاسيها غلام كالزَّلَمْ ... خدلَّج الساقين ممسوحُ القدم

ورواية الشطر الأخير مما استفاضت به كتب العربية ، لكن أبا فهر يقول : «خدلج الساقين : ممتلىء الساقين، وهذا غير حسن فى الرجال ؛ وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابى «مهفهف الكشحين خفّاق القدم» أى ضامر الخصر ».

تصحيح رواية الشعر

وتصحيح اللغة وتصحيح رواية الشعر مما يفيض ويتسع فى كتابات وتحقيقات أبى فهر كلها، وهو موصول بما كتبه الأوائل فى ذلك، مثل التنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلى بن حمزة البصرى (٣٧٥هـ) والتنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن

الأصفهانى (٣٦٠هـ)، وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لأبى أحمد العسكرى (٣٨٢هـ) ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف، لصلاح الدين الصفدى (٧٦٤هـ) ألم أقل لك إن الرجل ماضٍ فى طريق الأوائل؟

والذين لا يقرءون محمود محمد شاكر قراءة جيدة، ولا يفهمون فكره حق الفهم ، يقولون : إنه غارق فى التراث إلى أذنيه، لا يكاد يدير وجهه عنه، وأنه شديد العصبية لآثاره ولرجاله ، لا يقبل فيه ولا فيهم نقدا أو معابة، وهذا صحيح من وجه، لكنه باطل من وجه، فوجه صحّته أنه شديد التمسُّك بذلك الإرث العظيم ؛ لأنه قرأه وعرف مواضع العزة فيه ، ثم إنه رأى أن الذين يعيبونه ويتنقّصونه لا يصدرون عن علم ولا هدى ، وإنما هو الهوى الجامح والمتابعة العمياء ، والنظر لثقافات الأمم الأخرى بعين الذليل .

ووجه بطلانه أنه لايسلِّم بالتراث كله، ولا يذعن لرجاله كلهم، فهو يعرف وينكر ، وينفى ويثبت ، وآية ذلك ما تراه من نقده لبعض كتب الأوائل ، ثم من نقده لبعض رجال ذلك التراث، على جلالة قدرهم وعظم شأنهم ، وهذه بعض أمثلة:

١ - وازن أبو فهر بين شرحين لأبى جعفر الطبرى والجاحظ ، لبيت من شعر الكميت، ولم يرض تفسير الجاحظ له ، وقدم عليه تفسير الطبرى ، ثم نقد الجاحظ نقدا مرا ، فقال : «من شاء أن يعرف فضل ما بين عقلين من عقول أهل الذكاء والفطنة، فلينظر إلى ما بين قول أبى جعفر فى حسن تأتّيه، وبين قول الجاحظ فى استطالته بذكائه .. والجاحظ تأخذ قلمَه أحيانا مثل الحكّة ، لا تهدأ من ثورانها عليه حتى يشتفى منها ببعض القول ، وببعض الاستطالة، وبفرط العقل، ومع ذلك فإن النقاد يتبعون الجاحظ ، ثقة بفضله وعقله، فربما هجروا من القول ما هو أولى، فتنةً بما يقول» تفسير الطبرى ٢/٤٨٦ ، ٤٨٧ .

٢ - أبو الحسن المرزوقى شيخ من شيوخ العربية، وهو شارح حماسة أبى تمام ، وصاحب كتاب الأزمنة والأمكنة، وصاحب الأمالى ، وقد خطّأه أبو فهر فى مواضع من شرحه لأبيات قصيدة تأبَّط شراً «إن بالشِّعب الذى دون سَلْعٍ» ، ومن تلك المواضع قول أبى فهر «وأما ثاني اللفظين الطليقين، وهو «مُدِلّ» فقد أساء الناس فهمه، وتبعوا فى ذلك المرزوقى ، حين فسره بأنه «هو الواثق بنفسه وآلاته وعدته وسلاحه» فهذا تفسير يذبح الشعر بغير سكّين» ، وقوله : «وأما «يجدى» فقد ذهب المرزوقى وسائر الشراح إلى أنه من «الجدوى» وهى العطية . وهذا لغو وفساد» وقوله : «وهذا فساد كبير فى تناول معانى الشعر ، ولا يُعَدُّ بيانا عنه، بل هو طرح غشاوة صفيقة من «الإبهام» ينبغى أن تزال ، وإلا فقد الشعر بهاءه بانتقاص دلالات ألفاظه وإهمالها» . ويصف بعض شروح المرزوقى بأنه كلام لا تحقيق له «وإنما هو كذب محض، وبذلك أباد المرزوقى معنى القصيدة إبادة من لا يرحم».

ويقول : «والمرزوقى إمام جليل من العلماء بالعربية ، ولكنه ليس من العلماء بالشعر فى شىء، وقد جزر البيت جزرا بسكّين علم اللغة، واستصفى دمه بتفسيره الذى أساء



فيه من جهتين» ، ويصف بعض كلام المرزوقى ، فيقول: «وهذا كلام بارد غث سقيم، فاختلسه التبريزى فى شرحه ، فلم يحس بشيء من برده ؛ لأنه نشأ بتبريز من إقليم أذربيجان، وهو إقليم بارد جدا» وراجع لهذا النصوص كتاب أبى فهر «نمط صعب ونمط مخيف» صفحات ١٨٢، ١٩١ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، وهذا الكتاب من أوثق الدلائل على بصر أبى فهر بالشعر واللغة والنحو.

٣ - ابن فارس من أئمة العربية ، وله فى التأليف المعجمى كتابان جليلا القدر : المقاييس والمجمل، وقد نقل أبو فهر بعض شروحه اللغوية التى لم يطمئن إليها، فقال: «ولاأدرى هل يصح نقل ابن فارس أو لا يصح .. وأنا لا أطمئن إلى أقوال ابن فارس إلا بحجة مؤيدة» طبقات فحول الشعراء ص ٢٢٨ .

٤ - مما نشره أبو فهر قديما جزء من كتاب «إمتاع الأسماع» للمقريزى ، نشره عام ١٩٤٠م ، يقول المقريزى فى مقدمة كتابه «والله أسأل التوفيق لديمة العمل بالسنة» ويعلق أبو فهر فيقول: «يريد لدوام العمل ، فأخطأ، وشبّه عليه حديث عائشة وذكرت عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : «كان عملُه دِيمةً» شبهته بالدِّيمة من المطر فى الدوام والاقتصاد».

★★★

وبعد : فهذا منهج محمود محمد شاكر ، فى نشر التراث ، سقْتُه على سبيل الوجازة والاختصار ، وقد أدرتُه على علمه باللغة والنحو والشعر، وبقى بابان من أبواب العلم، ظهر عليهما أبو فهر ظهورا بيِّنا، وامتلك أسباب القول فيهما والحكم عليهما امتلاكا واضحا: أعنى علم التاريخ، وعلم الجرح والتعديل (قبول روايات الحديث النبوى وردّها) ، ولكن المقام لا يتسع الآن للإفاضة فى الكلام على معرفته بهذين العلمين الكبيرين، فلعلي أفرد لهما مقالة أخرى، أستأنف بها كلاما عن هذا الرجل الذى يعد رمزا ضخما من رموز حضارتنا العربية، ولكن أسبابا كثيرة حجزته عن الناس، وحجزت الناس عنه ، وكان هو نفسه أحد الأسباب المعينة على ذلك ، بهذه العزلة التى ضربها على نفسه ، ثم بتلك الصّرامة التى يعامل بها الأشياء والناس، والبشر منذ أن برَأَهم خالقهم يحبون الملاينة والملاطفة، ثم المصانعة التى أشار إليها زهير بن أبى سلمى فى معلّقته الشريفة ، ولكن أبا فهر اختار الطريق الأعظم ، وترك الطرق التى تتشعب منه ، وهى التى تسمّى «بُنَيَّات الطريق» فكاشف وصارح فيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الناس، ومنذ أن ظهرت أمامه غَواشى الفتن التى أحدقت بأمته العربية : فتح عينيه ، وأرهف سمعه ، ثم شدَّ مِئْزَره وأيقظ حواسَّه كلها ، يرصد ويحلل ويستنتج ، ثم قال : «فصار حقا عليس واجبا ألا أتلجلج ، أو أحجم، أو أجمجم ، أو أدارى» أباطيل وأسمار ص ١٠



محمود شاكر فى لقطة نادرة ومن بين من تجمعهم اللقطة
د. حسين نصار من اليمين ومحمود حسن إسماعيل وأحمد المانع

وكان أن دخل بيته بعد أن استتبَّ الأمر له : علما وفكرا ، مئات من طوائف الناس، من شرق وغرب جالسوه واستمعوا له ، فمنهم من آمن بمنهجه ، ومنهم من صدَّ عنه ، وكان على الذين آمنوا بمنهجه أن يصبروا على لأواء الطريق، ويحتملوا أعباء المتابعة ، على ما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه «من أحبَّنا أهلَ البيت فَلْيُعِدَّ للفقر جِلبابًا» ولكنْ لأنه منهج صعب مكلف ، وطريق عَسِر شائك، فما آمن معه إلا قليل !

هذا ، وما أحب أن أختم كلمتى هذه قبل أن أؤكد ما بدأت به حديثى : أن أبا فهر إنما دخل ميدان تحقيق التراث خدمة وعونا على قضيَّته الكبرى : قضية تاريخ أمته العربية ، ثم إزالة الغبار الذى طمس معالمها . وعلى هذا فلا ينصفه من يذكره فى عداد المحققين والناشرين . إن تحقيق التراث بالنسبة له عمل هامشي ، ولذلك تراه يكتب على أغلفة كثير من تحقيقاته هذه العبارات : قرأه وشرحه ، أو قرأه وعلَّق عليه، أو قرأه وخرَّج أحاديثه .

سيِّدى أبا فهر : لئن عرف علمك العارفون ، وغفل عن ذكرك الغافلون:

فلقد عُرِفْتَ وما عُرِفْتَ حقيقةً ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمولا

كتب الله لك السلامة والعافية ، وأطال فى النعمة بقاءك ، وأمتع أهل العربية بحياتك . ويرحم الله عبدا قال آميناً.

محمود شاكر فى يوم مولده

جــزء خـــــاص

نمط صعب
من العلاقة بين وزن الشعر ومادته
عند الأستاذ / محمود محمد شاكر

بقلم : د. محمد حماسة عبداللطيف

●● فى شتاء عام ١٩٨٩ ذهبت لزيارة شيخ العربية أبى فهر الأستاذ محمود محمد شاكر فى الجناح الذى أعد له فى فندق هيلتون أثناء زيارته للكويت . ودار الحديث فى مجلسه العامر ، يتناول فنونا من الثقافة شتى، وصنوفا من العلم متنوعة، إلى أن اتجه الحديث إلي علاقة وزن الشعر بأداته ، أو بحر القصيدة بمعناها. وتذكرت أن أبا فهر . متّعه الله بالسلامة والعافية - قد تناول هذه القضية بما لم يسبق إليه ، فى مقالاته السبع التى نشرها فى «المجلة» عامى ١٩٦٩ ١٩٧٠ تحت عنوان «نمط صعب ونمط مخيف» ، وكنت أحتفظ بهذه المقالات السبع، أعيد قراءتها، وأدير النظر فيها، وأتأمل ما اشتملت عليه من فِوائد جمة، وعلم جليل ، وكثيرا ما كنت أتساءل بينى وبين نفسى : لِمَ لمْ يجمع شيخنا هذه المقالات ، وينشرها فى كتاب ، يجمع بينها ، ويَلم ماتفرّق منها . ووجدت الفرصة قد سنحت ، فألقيت إليه بهذا السؤال الذى كان يتردد فى نفسى ●●



يحيى حقى ومحمود شاكر لقاء بين أمهات الكتب فى مكتبة الشيخ شاكر بمنزله

وفجأنى جوابه الذى ألقى به محتدا ، عفوياً كالعهد به مع محبيه وأهل مودته، «أنت لا تعرف شيئاً !» . ولكنى ألححت عليه. فصمت قليلاً كأنما يسترجع شيئاً ، وأخذته الحالة التى تتلبسه عندما يريد أن يشرح شيئاً ، أو يجلّى مسألة لها بالعربية وتراثها وعلمها وثقافتها سبب، وقال كلاما طويلا بقى منه فى ذاكرتى أن الحديث عن عروض الشعر العربى، وعلاقته بالشعر ، وتأثير الوزن فى الشعر ضمن منهجه فى فهمه ونقده ، لم يكتمل ، وأن لديه بقية منه، وأنه يريد أن يتأتى إلى هذا الموضوع الذى يدقّ ، ويلطف، ويغمض ، بعبارة تكشف دقيقه، وتقتنص لطيفه، وتجلى غامضه. وهو لايرضى بغير الفهم ، والوضوح لنفسه، ولقارئه سبيلا ؛ لأنه يحب أن يجعل كل شىء بيّنا غير مبهم ، لأن خطر الإبهام شديد ، مفسد للعقل ، والعلم جميعا ، ولأنه آفة هذا الزمان الذى نحن فيه . وسكت إشفاقا عليه من الانفعال .
وبقيت فى نفسى الرغبة فى ظهور هذه المقالات السبع فى كتاب حرصا عليها، وضنا بها من التفرق والشتات . وبعد طول ترقب وانتظار ظهرت هذه المقالات السبع فى كتاب سنة ١٩٩٦ . ويبدو أن المقادير جرت على غير مايحب شيخنا ، فلم يتمكن من إضافة ما كان يريد إلى ماكتبه من قبل ، مع أن ماكتبه من قبل فيه غناء أى غناء.

وإن ماكتبه شيخ العربية وفتاها فى هذا الباب لنمط صعب حقاً ، ونمط مخيف حقاً، ومنهج فى التناول يتأبى على من يتغياه سواه.

محمود شاكر في يوم مولده



« ... وهى قصيدة ، ونمط صعب» عبارة مبهمة غريبة ، قالها الوزير الأندلسى أبو عبيد البكرى (...– ٤٨٧ هـ) فى وصف قصيدة ابن أخت تأبط شرا ، التى مطلعها:

إن بالشعب الذى دون سلع ... لقتيــــلا دمـــه مايُطـــلُّ
قــذف العــبء علــىّ وولّى ... أنــا بالعــبء له مُسْــتقلُّ
ووراء الثــأر منى ابن أخــت ... مصــعُ عقــدته ماتُحــلُّ

– وهى من بحر المديد فى صورته الأولى التى وزنها :

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

ولم يكن يدرى أبو عبيد البكرى عندما قال هذه الكلمة المبهمة الغامضة ، التى ربما قالها على السجية ، عفواً ، من أثر هذه القصيدة ، ووقع أنغامها فى نفسه ، لما قرأها ، وترنم بها، أن هذه الكلمةِ سوف تثير بعده بقرون عالما بالشعر ، بصيرا بلغة العرب، فيكتب كل ماكتب عن هذا «النمط الصعب» فى العلاقة بين بحر المديد، وقصيدة على وزان عروضه الأولى، ويكشف لنا سطوة هذا البحر على الأداة، وهى اللغة، وسطوته على الشاعر ، وهو المترنم ، وتمرد أنغام هذا البحر التى توجب على الشاعر أن يكون فى حال مطيقة لاحتمال سطوته ، وعتوِّه ، بلا ذُلّ فى خضوع ، ولا تضعضع فى لين ، حتى يكون مطيقا لبسطه وقبضه ، ولحيرته وقلقه ، قادراً على أن يفضّ عنه أغلال سلطانه بالمهارة والحذق ، حتى يرضى البحر بأن ينقاد انقياد عزيز قادر لعزيز قادر، يحبه ويرضى عنه .

وقد تأتى الأستاذ محمود شاكر إلى وصف علاقة بحر المديد بقصيدته ، ببحث شاق مُضن فى عمل الخليل بن أحمد ، دفعته إليه ملاحظة القدماء قلة استعمال هذا البحر «لثقل فيه» . وقد أدّاه البحث فى العروض ، وأجزائه الأصوال والفروع ، ودوائره ، إلى أن مرد هذا الثقل هو أن بحر المديد فى عروضه الأولى ليس وزنه:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن ... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

كما يرى العروضيون ، بل هو :

فاعلن مستفعلن فاعلن (تنْ) ... فاعلن مستفعلن فاعلن (تنْ)

كما يرى هو ؛ لأن هذه الصورة الثانية التى يراها هو أحق بأن يوزن عليها بحر المديد ، تأتى فيها الأوتاد (الوتد وتدان مجموع ومفروق، المجموع : متحركان وساكن ورمزه //٥ ، والمفروق متحرك فساكن فمتحرك ورمزه /٥/) فى أجزائها (تفعيلاتها) أطرافاً ، أما الصورة الأولى التىَ قال بها العروضيون فتختلف فيها مواقع الأوتاد ، فيأتى وسطا فى (فاعلاتن)

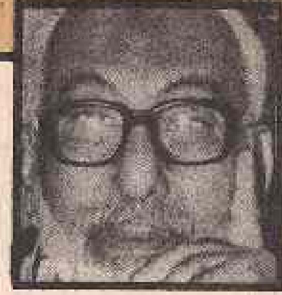
ويأتى طرفاً فى (فاعلن) . وقد بنى اختياره على ملاحظة مهمة فى عروض الخليل بن أحمد، هى أنه رأى عروض الخليل كله يدل على أن الجزأين الأولين من البحر (الجزء هو التفعيلة) هما اللذان يقرران مكان الوتد فى العروض (التفعيلة الأخيرة فى المصراع الأول) والضرب (التفعيلة الأخيرة فى المصراع الثانى) ، وهو يسمى الجزء الأول «الصوت» أو «حادى النغم» ، والجزء التالى له «الصدى» أو «المجيب» . فإذا اختلف موقع الوتد فى الجزأين الأولين ، فكان أحدهما طرفا ، والآخر وسطا ؛ لم ندر ما يكون عليه موقع الوتد بعد فى العروض والضرب . وعندئذ يضطرب نغم البحر كله ، ويختل لاختلال نسبة الأسباب (السبب سببان خفيف وهو متحرك فساكن ورمزه هو /٥ وثقيل وهو متحركان ورمزه هو //) إلى الأوتاد، لا فى الأجزاء من حيث هى أجزاء، بل في مجرى البحر نفسه من أوله إلى آخره. وهذا من أعظم الدلالة علي أن الأجزاء ليس لها فى ذواتها شأن ، بل كل شأنها كائن فى تركيبها من البحر (نمط صعب ١٠٧، ١٠٨).

ولما رأى الخليل بن أحمد قد أدخل الصورة التى تداولها العروضيون لبحر المديد ، فى دائرته، وأغفل الصورة التى يراها هو أحقَّ بأن يوزن عليها بحر المديد، اعتذر للخليل بأنه أراد أن يدل على أن «الأجزاء العشرة» التى لهج الناس بتسميتها «التفاعيل» إنما هى ضوابط للأوتاد، وموقعها بين الأسباب حين تركب منها البحور ، وليدل أيضاً على أن مواقع الأوتاد بين الأسباب فى البحر هى عماد البحر التى تضبطه ، ثم ليدل أيضاً على أن هذه الأجزاء العشرة أى التفاعيل لامعنى لها فى ذاتها ، وإنما تكتسب معنى حين تركّب منها البحور المختلفة .

ويستلفت النظر فى هذا الصنيع ، أن شيخ العربية استوقفته كلمة فى كلام القدماء ، هى وصف بحر المديد بالثقل ، فجال هذه الجولة العروضيون ، التى نقلت طرفا منها باختصار ، ليفسر هذا الوصف الذى ترك القدماء تفسيره ، وما فعل ذلك إلا لأنه يحس بما أحسوا به ، ويثق بأنهم يعرفون أسبابه ، ولكنهم لم يبينوا عنها ، وقد أبان هو ، وكشف لنا مالم يكشفوه .

ويدفعنا صنيعه هذا إلى أن نتعلم هذا النهج ، فنحاول أن نلتمس الأسباب العلمية التى تعلل لملاحظات القدماء التى تبدو لنا عابرة ، وقد نوافق أو لا نوافق ، هذه مسألة أخرى. المهم ألا نهمل هذه الملاحظات التى تتردد كثيراً ، ونتداولها دون أن نحاول تفسيرها .

وقد كرر أكثر من مرة أن التفاعيل العروضية لامعنى لها فى ذاتها ، وإنما تكتسب معناها حين تركب منها البحور فيتبين بذلك مواقع الأوتاد. فهو يهتم بمواقع الأوتاد اهتماماً كبيراً . والواقع أن صورة البحر الصوتية سواء قوبلت بالتفاعيل، أو بالحركات والسكنات وترتيب هذه مع تلك، أو بالمقاطع الصوتية ، صورة مجردة تكتسى لحماً ودماً عندما يصاغ الشعر على ،رانها ، فيأخذ النغم من الكلمات والجمل معنى آخر يضاف إلى هذه الصورة الصوتية المجردة . وسوف يظل مايقابل الأوتاد فى مكانه سواء اعتبرناه بالصورة الأولى التى



ارتضاها العروضيون، أو بالصورة الثانية التى ارتضاها هو ، أو بصورة أخرى غيرهما مثل :

فاعلاتن فاعلاتن فعولن   فاعلاتن فاعلاتن فعولن

وهى صورة يمكن أن يوزن عليها بحر المديد ، ويمكن استخراجها من الدائرة ، ويكون أصلها:

فاعلاتن فاعلاتن فعولن فاعلن   فاعلاتن فاعلاتن فعولن فاعلن

ويكون البحر أيضاً مجزوءاً وجوبا ، غير أن هذه الصورة لاتطرد عليها الصور الأخرى، وكان عمل العروضيين كله هو محاولة الاطراد . أما بيان مواقع الأوتاد ، وكشف النغم، وسطوته وبطئه حينا وإسراعه حينا فليس من عمل العروضيين لكن من عمل النقاد والمتذوقة .

كشف عروضى!

كان وصف بحر المديد بأن فيه ثقلا هو الذى دفع الأستاذ محمود شاكر إلى هذا الكشف العروضى لكى يصل منه إلى مايريد من بيان نغمه، ودوره، وتأثيره فيمن يريد أن يركبه ، وأما الكلمة الأخرى فهى وصف أبى عبيدة لقصيدة جاءت على هذا البحر بأنها «نمط صعب» . وهاتان الكلمتان هما اللتان أظفرتانا بهذا السفر الجليل الذى تناول جوانب مهمة ، منها علاقة البحر بمادته وموضوعه . وإن كان لم يخرج عن صورة واحدة من صور بحر المديد ، فإن هذا التناول الفذ دليل على ما وراءه ، ويظهر عمله إذا قارناه بمن قبله .

لقد كانت الإشارة إلى علاقة البحر بمادته وموضوعه قبل الأستاذ محمود شاكر إشارة مجملة ، غير مفصلة ، تحتمل وجوها من التأويل .

وإذا نظرنا إلى إشارة أرسطو فى المقابلة بين الملحمة والمأساة (فن الشعر ترجمة عبد الرحمن بدوى ٦٧ وترجمة متى بن يونس ١٣٨) وجدناه يقول «تختلف الملحمة عن المأساة فى طول التأليف وفى الوزن» وهذه إشارة عارية عن الشرح والبيان .

وقد تأثر الفلاسفة المسلمون بما قرأوه عند أرسطو فأشاروا إلى اختصاص بعض الأغراض أو المعانى بوزن معين .

يقول أبو نصر الفارابى فى (مقالة فى قوانين صناعة الشعراء للمعلم الثانى ١٥٢) : إن جل الشعراء فى الأمم الماضية والحاضرة الذين بلغنا أخبارهم خلطوا أوزان أشعارهم بأحوالها . ولم يرتبوا لكل نوع من أنواع المعانى الشعرية وزنا معلوما إلا اليونانيون فقط، فإنهم جعلوا لكل نوع من أنواع الشعر نوعا من أنواع الوزن ، مثل أن أوزان المدائح غير أوزان الأهاجى ، وأوزان الأهاجى غير أوزان المضحكات ، وكذلك سائرها . فأما غيرهم من الأمم والطوائف ؛ فقد يقولون المدائح بأوزان كثيرة مما يقولون بها الأهاجى إما بكلها ، وإما بأكثرها ، ولم يضبطوا هذا الباب على ماضبطه اليونانيون».

ونجد الشيخ الرئيس ابن سينا يجعل الوزن ضمن ثلاثة أشياء يخيل بها الشعر،

ويحاكى، هى اللحن ، والكلام، والوزن ، ويقول عن الوزن «فإن من الأوزان مايطيش ومنها مايوقّر» (من كتاب الشفاء - فن الشعر ١٦٨) .

ولم يخرج أبو نصر الفارابى ولا ابن سينا عن الشعر اليونانى ، ولم يشر أحد منهما إلى الشعر العربى، ولم تخرج إشارتهما عن هذا الإجمال الذى يحتاج إلى بيان ، ولذلك لم يلتفت النقاد العرب إلى ربط الوزن باللغة ، أو بالموضوع إلا إشارات مجملة تحتمل التأويل ، كما أسلفت .

ولم يقف على هذا الجانب أحد من القدماء مثلما وقف حازم القرطاجنى فى كتابه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» فقد قرأ كتاب أرسطو ، ومن تأثر به ، وحاول أن يفيد من إشاراتهم فى هذا الجانب . ولكى يتناول علاقة العروض بالشعر أعاد القول فى العروض ، وقدم اجتهادا فى بعض مصطلحاته وعلاقة بعض الأجزاء ببعض ، ورتب ميزة بعض الأوزان على بعض بحسب نسبة عدد المتحركات إلى عدد السواكن، وبحسب وضع بعضها من بعض وترتيبها ، وبحسب ما تكون عليه من مظان الاعتمادات كلها من قوة أو ضعف، أو خفة أو ثقل ، وينضم إلى هذه غرض الشاعر ، فإذا قصد الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة ، وإذا قصد فى موضع قصداً هزليا أو استخفافيا وقصد تحقير شىء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء ، وكذلك فى كل مقصد ويقول «وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكل غرض وزنا يليق به ، ولا تتعداه فيه إلى غيره» . وعبارة حازم هنا تكاد تقترب من عبارة ابن سينا والفارابى ، ثم هى عبارة عامة أيضاً لا ندرك منها خصوصية وزن على آخر . ولكنه انتقل إلى الأوزان العربية فجعل الطويل والبسيط أعلاها درجة ، يتلوهما الوافر والكامل ، يتلوهما الخفيف، «فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف وقلما وقع كلام فيهما قوى إلا للعرب ، وكلامهم مع ذلك فى غيرهم أقوى» ويمتد الوصف إلى الأبحر الباقية بمثل هذا التعميم الذى يحتاج إلى كشف وجلاء، أو وقفة من خلال نص مثل وقفة شيخ العربية أمام عبارة أبى عبيد البكرى «نمط صعب» . فما معنى أن يكون فى الطويل بهاء وقوة، وأن يكون للبسيط سباطة وطلاوة ، وللكامل جزالة وحسن اطراد ، وللخفيف جزالة ورشاقة ، وللمتقارب بساطة وسهولة، وأن يكون فى المديد والرمل لين يجعلهما أليق بالرثاء وما جرى مجراه منهما بغير ذلك من أغراض الشعر، وأن تكون فى الهزج سذاجة وحدة زائدة ، وما معنى قلة الحلاوة فى المجتث والمقتضب ووجود طيش فيهما ، وأن ينفرد المضارع بكل قبيحة؟

وحين تبتعد الأحكام عن النصوص، ولا تقوم على التحليل نجد التعارض فيها، فعلى حين يرى القرطاجنى أن فى المديد لينا وضعفا، يقول عنه عبدالله الطيب (المرشد ٧٥/١) : «فبحر المديد فيه صلابة ووحشية وعنف تناسب هذا النوع من الشعر (الرثاء) ... وبحر المديد على بساطة نغمه يعسر على الناظم لأن تفعيلاته تطلب كلمات متقطعة ، نحو «يا» «لبكر» «أنشروا» «لى» «كليبا» ونحو : «خبر» «ما» «نابنا» «مصمئل» وأحسب أن هذا التقطيع هو الذى جعل الشعراء يتحامونه. ثم إن هذا التقطيع فى ذاته شىء لا يقبله الذوق إلا فى الحالات النادرة كموقف الغضب الشديد الذى يسبب التمتمة والعى». فعبدالله الطيب - كما ترى - ذهب مذهبا غامضا فى عسر هذا البحر . فما معنى أن تكون الكلمات مقطعة ؟ إن كل الكلمات فى كل بحر وغيره مقطعة على هذا النحو ، ومعنى هذا أن كل البحور عسيرة، وعلى الشعراء أن يتحاموها!



وفى الوقت الذى يحاول عبدالله الطيب أن يجعل لكل بحر معنى، نجد د . إبراهيم أنيس (موسيقى الشعر ١٧٧) يقول : إن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لايكاد يشعرنا بمثل هذا التخير أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه ، فهم كانوا يمدحونه، ويفاخرون، أو يتغازلون فى كل بحور الشعر التى شاعت عندهم .فينفى وجود علاقة بين البحر وموضوعه.

علاقة الشعر بأداته

فقضية علاقة وزن الشعر بأداته وموضوعه قضية قديمة ، حاول الفلاسفة العرب الذين قرأوا أرسطو، شيئا منها لم يطبقوه على الشعر العربى ، وناوشها النقاد العرب من بعيد عندما تحدثوا حديثاً عاماً عن مناسبة الأوزان للمعانى ، وأثارها حازم القرطاجنى من الجانب النظرى الذى لم يؤيده بتطبيق أو تحليل ، ولذلك وصفه شكرى عياد (موسيقى الشعر العربى ١٣٤) بأن ذوقه للأوزان العربية يحمل قدرا كبيراً من الذاتية التى ستظل عالقة بمثل هذه الأحكام مابقى الكلام عن الأوزان منحصرا فى القشرة السطحية للتفاعيل غير متجاوز هذه القشرة إلى عالمها الداخلى الغنى المكون من أصوات لها قيمتها اللغوية ، ولها فى الوقت نفسه قيمتها الموسيقية . ومن المحدثين وقف عبدالله الطيب وإبراهيم أنيس على طرفى نقيض ، أولهما يثبت للأوزان معنى ، والآخر ينفى هذا المعنى، ولكن الإثبات عار عن التحليل، والنفى مفتقر إلى الدليل.

وعندما عالج الأستاذ محمود شاكر هذه القضية ، عالجها من خلال نص حى، تتفاعل فيه أنغامه مع أدائه، فاقتنص العلاقة بين الوزن والشعر فى حالة عمل. وقد أخذ لهذا الوصف الذى قدمه عدته من المهاد العروضى الذى بين فيه «ثقل» هذا البحر، بحر المديد - كما جرى بذلك لسان بعض القدماء - وشرح أسبابه ، وانتهى إلى أنه ليس بثقل ، وإنما هو ما يكون من النزاع الخفى المتتابع بين «الحادى والمجيب» أو «الصوت والصدى» وبين الترفيل (وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع) فى الصورة التى اختارها الوزن المديد «فاعلن مستفعلن فاعلن (تن)» وما أوجب نزاعهما من توقف، وتردد ، وإحجام ، ومن استفزاز مسرع إلى الانطلاق ، ثم حدوث ذلك كله فى زمن متقارب.

وهذا وصف من يجيد إنشاد الشعر، ويحسن التغنى به ، ويتذوق هذا الإنشاد ، ويتطعم هذا التغنى . وتذوق النغم ، والتأنى فى التذوق - كما يقول لا يفضض الله فاه - «هما الفيصل فى إدراك حقيقة هذه الصفة التى وصفت» .

حب فن الشعر

كل عبارات كتاب « نمط صعب ونمط مخيف» تتآزر وتتلاحم لتنقل معنى أكبر هو حب «فن الشعر» وأنا أحاول أن أنقل منها شيئا واحدا يعد خيطا من نسيج الشعر، وهو خيط رابط بين وزن الشعر ومادته وهى اللغة . ووزن الشعر مرتبط بألفاظه، والألفاظ مرتبطة بالجمل ، والألفاظ والجمل فى الشعر هى المدخل إلى تمثله، وتذوقه ، وفهمه «وتمثل القصيدة أمر شاق فى حديث الشعر وقديمه سواء، لأن الشعر كله يعتمد على الألفاظ ، وعلى تركيب الألفاظ وتصريفها ، وعلى بناء الجمل ومنازلها من السياق، وعلى الأواصر الخفية بين الظاهر والباطن، وعلاقة الوزن في الشعر بمادته إحدى هذه الأواصر الخفية بين الظاهر والباطن.

فالوزن الخاص يؤدى إلى ألفاظ خاصة وتراكيب خاصة، والألفاظ فى الشعر لا يراد بها مجرد وجودها فى اللغة بمعانيها التى درج عليها أهل كل لسان فى التعبير عن فحوى ما يريدون، الألفاظ فى الشعر أمرها مختلف «لأنهم يلبسونها بالإسباغ ويخلعون عنها بالتعرية ما يكاد ينقل اللفظ عن مستقره فى اللغة وكتبها إلى مدارج تسيل باللفظ وقرنائه من الألفاظ إلى غاية غير غاية المتكلم المبين عن نفسه لسامعه ، وهذا شبيه بما نسميه المجاز والاستعارة والكناية وما جرى مجراها».

فى شرح قول ابن أخت تأبط شرا – فى القصيدة التى كانت سببا فى هذا الكتاب – :

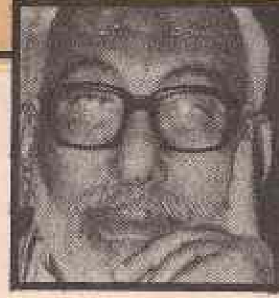
شامس فى القر حتى إذا ما ... ذكت الشعرى فبرد وظل

جال الشيخ جولة رائعة فى الشعر العربى ، يبين فيها صفة القيظ فى الأحياء، يقول بعدها: «فهذه بعض صفة القيظ فى الأحياء ، فاكتفى شاعرنا من ذلك كله بهذين اللفظين الموجزين العاريين «ذكت الشعرى» ، وتركهما بالإسباغ يدلان على ذلك ، وعلى غيره من كل وقدة تصيب الأحياء وتحيط بهم، وتفعل بهم مثل فعل القيظ حين يحتدم ، وخاله تأبط شرا عندئذ «برد وظل» يطفىء الغلة ويكن المحرور ثم يكشف بعد هذا البيان أن هذا كله أثر من آثار سلطان بحر المديد على الشاعر ، وسلطان الشاعر على بحر المديد ، وكيف استطاع بمهارته أن يقتصد فلا يبذر، وأن يتأنى فلا يعجل ، وأن يطرح التشبيه المركب جانبا ، وما هى إلا الألفاظ العارية الموجزة الحية، يلقيها على أنغام هذا البحر المتمرد، لتتسرب الأنغام ناشرة من معانى الألفاظ، متراحبة بها، هادئة غير صاخبة، ولا مفزعة عن أماكنها من النغم .

فالتأثير ليس متجها من البحر ذى السطوة والسلطان على المترنم أو الشاعر حسب ، بل هو متبادل بينهما ، وكل منهما له تأثيره الخاص.

طبيعة بحر المديد – كما يحددها شيخ العربية – تتردد بين البطء والأناة ، والسعى والعجلة، ثم معاودة البطء والأناة، حيث يتوقع أن يستقر، فلا يكاد يؤنس من نفسه قرارا حتى يحجم ويتردد ولا يكاد يقر حتى يقلق فيسرع ، فيتلقفه حادى النغم ومجيبه فى المصراع الثانى فيدخل فى بعض الأناة والبطء ، ثم السعى والعجلة، ثم يدخل فى بطء وأناة ، وتردد وإحجام ، وانبعاث لداعى «الترافيل» ثم ينقطع. هذا الوصف مبنى على الوزن الذى اقترحه لبحر المديد ، وهو صادق سواء أخذنا أم لم نأخذ به ، لأنه فى الحقيقة وصف لمقاطع صوتية تتوالى على نظام مخصوص يتفق مع كل وزن مقترح . هذه الطبيعة تفشى فى نغم المديد قلقا وحيرة، وبسطا وقبضا، تتتابع كلها دراكا فتشد إليها المتغنى به المترنم ، وتكبح من غلوائه كلما أوشك أن يسرع ، أو يسترسل حتى يذعن ويتئد .

وهذه الخليقة فى بحر المديد تحتاج إلى شاعر خاص ، فليس كل شاعر بمستطيع أن يركب هذا البحر، لأن نغم هذا المديد «المرفل» يوجب على المترنم وهو الشاعر إذا لابسه أن يلابسه وهو فى حال مطيقة لاحتمال سطوته بين القلق والحيرة، والبسط والقبض ، وهى تتابع عليه دراكا لا تفتر، وليس كل مترنم يطيق ذلك أو يصبر عليه إذا طال، وليس كل مترنم بقادر على أن يقبل سطوة تكلفه إذا أراد أن يسترسل ، وليس كل مترنم يملك الأداة التى تطيعه حتى يبذل لهذا النغم المستبد ما يتطلبه منها ، وأعنى بالأداة اللغة . وهو مع سطوته لا ينقاد لمن يخضع له كل الخضوع ، بل ينقاد لمن يقبل عليه خاضعا، ثم يلبث أن يفض أغلاله ، ليفرض على هذا النغم بعض سلطانه هو، وبعض سطوته هو ، لكى يرده إلى الطاعة بعد



التجبر، وإلى الإذعان بعد الغلو، ثم لا يفعل ذلك إلا مترفقا لا يطغيه حب الغلبة ، ولا يزدهيه علو سلطانه على سلطان النغم.

هذا عن تأثير بحر المديد فى الشاعر، وسطوة الشاعر عليه ، أما ما يقتضيه نغمه من الألفاظ والصور والتراكيب فيقول عنه «ثم هو بعد ذلك نغم يطالب المترنم بأن ينبذ إليه الكلمات حية موجزة مقتصدة خاطفة الدلالة ، تنبذ فى أناة وتؤدة، فإذا هى واقعة منه فى حاق موقعها لا تتجاوزه. بل ربما زاد فطالبه بأن تكون أنفس الكلمات دالة ببنائها ، ووزنها ، وحركاتها، وجرسها على المعنى المستكن فيها بلا استكراه ولا قسر» فالألفاظ واقعة فى هذا البحر بين سطوتين تتجاذبانها ، ولذلك تخرج على وصف الشيخ فى تحليل هذه القصيدة .

أما الصورة التى تتشكل من هذه الألفاظ فى هذا البحر فيقول عنها «ولأنه نغم ذو سطوة على المترنم ، وعلى أداته ، فهو لا تطيق خلائقه احتمال التشبيه المركب المسترسل ، ولا الصورة المزدحمة المتعانقة المستفيضة . ما هو إلا التشبيه المشرف الذى يبسط ظلاله دون جرمه ، وما هى إلا الصورة المنمنمة المحددة القسمات، تشف عنها الكلمة والكلمتان ، دون الصورة المنبسطة التى تتشاجر فيها الشخوص ، وتتداخل الألوان» . والتحليل الذى قدمه يدل على أن هذه الصفات قد تحققت فى هذه القصيدة ، فليس هذا وصفا حدسيا ، أو انطباعا ذاتيا .

استوفى الوصف السابق طبيعة بحر المديد ، وطبيعة الشاعر الذى يقدم عليه ، والألفاظ التى يتطلبها هذا البحر ، والصور التى تصلح له ، وبقيت «الحال» التى يكون عليها الشاعر عندما يساور هذا البحر ، وهذه يقول عنها أبو فهر «وعلى ذلك فاوفق حالات المترنم حين يلابس هذا النغم أن يكون على حال «تذكر» لشىء كان ثم انقضى ، فهو يسترجع ذكرى ينظر إليها من بعيد مترحبة تزدحم فيها التفاصيل، فيختار من صورها نبذا ، وأطرافا تبين بالإشارة الجامعة دون التصريح ، وبالاقتصاد الحكيم دون التبذير ، وبالأناة دون العجلة، بلا هياج عاطفة ، ولا ضرم نفس، ولا غلو فى كتمان، وبلا طغيان فى بوح . وأيا ما كان المعنى الذى يعالجه المترنم فى قرارة نفسه حين يلابس هذا النغم «من غضب ، أو رضى ، أو سخط، أو عتاب، أو حزن، أو فرح ، أو وصف، أو ماشئت ، فلابد أن تكون هذه السمات ظاهرة فى عبارته ، وصريحة فى دلالته، ومطيقة للحركة فى خلال هذا النغم بقلقه وحيرته ، وبسطه وقبضه ، وإلا فإن المترنم لن يحصل إلا على التعب واللجاجة» .

***

وإذن ، طبيعة بحر المديد، وما تقتضيه السطوة المتبادلة بينه وبين شاعره من اقتصاد فى الألفاظ، وشحنها بدلالات شعرية مكثفة، وصور منمنمة محددة القسمات ، وحال «التذكر» التى ينبغى أن يكون عليها الشاعر، هى التى أدت إلى قلة استعمال هذا البحر قديما وحديثا ، وعبارة الوزير أبى عبيد البكرى «نمط صعب» فى رأى شيخ العربية تشير مع وجازتها وغموضها إلى كل هذا الذى شرحه شيخنا ووصفه . وقد اغترف وصفه جوانب متعددة تتعلق ببحر المديد ونغمه، وبالشاعر الذى يطيقه ، وحال هذا الشاعر عندما يلابسه، والألفاظ التى يقتضيها، والصور التى تلائمه. وكان العمل من خلال قصيدة ابن أخت تأبط شرا هو الذى

أفضى إلى دقة الملاحظة، وإصابة الوصف، وصدق الأحكام. وهذه كلها تختلف عن وصف كل من سبقه إلى الإشارة للعلاقة بين وزن الشعر وأداته وموضوعه اختلافا بينا، فكان ماقام به شيخ العربية وفتاها هو الأحق بأن يوصف بأنه نمط صعب فريد .

والذى أحب أن أقف عليه وأؤكده من عمل شيخنا أمور أرانا في حاجة إلى لفت الأنظار إليها في تناولنا لهذه القضية ، وهى قضية العلاقة بين وزن الشعر وأداته:

أولها : هذا الوصف لم يكن مجردا ، بل كان نابعاً من معايشة الشعر، وذوقه، وفهمه، وتحليل خبير، وحس بصير، وكل هذا أدى إلى كشف جوانب أخرى غير هذا الجانب، مثل القدرة على توثيق الشعر، وفهم الزمن الشعرى فى القصيدة بأنواعه: زمن الحدث، وزمن التغنى، وزمن النفس، ومثل الحديث عن «التشعيث» الذى يقوم به زمن النفس، وغير هذا وذاك من معطيات نقدية تنبع من العمل النصى الذى يعيد إلينا ثقتنا بأنفسنا أمام النظريات «المستوردة» التى تفرض على شعرنا العربى ، ويفسر عليها.

ثانيها : كل ما كان من وصف سلطان بحر المديد ، وخصائصه النغمية قام على وصف صورة واحدة من صورة هى عروضه الأولى ، ولم يكن كلاما عن كل صور بحر المديد ، بل العروض العربى كله.

ثالثها : لكى يتأتى شيخ العربية إلى وصف هذه الصورة من صور بحر المديد قدم بين يدى هذا الوصف بحثا عروضيا شاقا، حتى يقوم الوصف على أساس سليم من علم النغم وما يمكن أن يؤسس عليه من أصول وفروع.

رابعها : لم يغفل الوصف دور «المترنم» أو «المتغني» وهو الشاعر، لأن العروض لا يعمل وحده ، بل هناك تفاعل وتلاحم بين أسس الغناء أو التغنى والمتغنى، وبينهما الأداة وهى اللغة التى تصل بينهما ، وبها يحقق كل منهما سطوته على الآخر.

خامساً : لم يعمم الوصف على كل القصائد من بحر المديد ، بل كان مقصوراً على قصيدة واحدة هى قصيدة ابن أخت تأبط شرا . وكلما تعمق التحليل رأسيا وأفقياً وظاهره كشف العلاقة بين الظاهر والباطن كشف مشابهات أخرى ، وأنتج دلالة لم تكن واضحة ، وحدد قوانين كانت خافية.

ويؤكد صنيع شيخ العربية أن الخوض فى مجال علاقة وزن الشعر بأداته يقتضى علما بالشعر واسعا ، وبصرا به نافذا، وحبا للغته مستنيراً ، ويقتضى إلى هذا كله حذرا وحرصا وعدم تعميم الأحكام ، لأن كل قصيدة تتعامل مع البحر بطريقتها الخاصة التى قد تتشابه فى بعض جوانبها مع قصائد أخرى، لكن تظل لها خصوصيتها التى تمتاز بها عن غيرها ، ومن هنا يظل الإبداع فى كل قصيدة متفردا، ولا تخضع القصائد كلها لحكم واحد يغترقها كلها ، بل يبقى لكل قصيدة حكمها الذى على محبى الشعر ونقاده ومتذوقيه أن يكشفوا عنه .

وأخيراً .. كل ما قيل عن العلاقة بين وزن الشعر ومادته جزء واحد صغير من منهج الأستاذ محمود محمد شاكر في فهم الشعر ونقده ، الذي علينا ، إذا أردنا أن نفهم شعر أمتنا ، أن نعمل به . ألم أقل عن صنيع أبي فهر إنه نمط صعب حقا!

محمود شاكر فى يوم مولده

جزء خاص

أبو فهر
عاشق الشعر العربى

بقلم : د . عبداللطيف عبد الحليم

●● أبو فهر محمود محمد شاكر أى نمط من الرجال هو !!؟

رجل تحدى الألقاب، والبرامج الدراسية الرسمية، واعتزل الناس، وأبى أن يأخذ فيما هم آخذون فيه، بيد أنه تحدى الألقاب - فى زمن الألقاب، وفى مصر ذات العراقة والكهانة فيها - لتسعى إليه الألقاب، وتحدى البرامج الدراسية، ليكون هو نفسه برنامجا ذاتيا، تهفو إليه هاته البرامج، واعتزل الناس، ليحج إليه الهافون، ثاوين إلى فيئه، وليكون مأنوسا فى عزلته.. الاختيارية .. المأهولة ●●



جلسة صداقة تجمع أسرتي يحيى حقي ومحمود شاكر، على اليمين زوجة يحيى حقي وبجوارها زوجة محمود شاكر



محمود محمد شاكر وعبد اللطيف عبد الحليم على سور مدينة طليطلة بإسبانيا

محمود شاكر فى يوم مولده



نمط من الرجال صعب، غير ميسور أن يتكرر، فى زمن التوسط والتشابه، وليست صعوبته من الضرب المدبب الشائك، بل هى صعوبة الجد، ومرارته، وأخذه نفسه، ولزومها ما لا يلزم، دون تكلف، وقطوب ، حيث إن مجلسه ليتسع ويتراحب للإحماض، دون تدن ودون انفراط وهزل .

● سمة الأصالة

وهذا النمط الفكرى والنفسى حقيق أن يبين صدقه فى إبداعات صاحبه ودراساته، فلا يفلت من شيات هذا الزى ، الذى هو إهابه المغزول من دمه وعصبه، وأن يكون عنوانا له، وعنوانا عليه، فلا سبيل فيه الى الانمياع، ولذا لا يعتم المرء حين يطالع ثمرات قريحته إلا أن يمهرها باسم صاحبها دون تداخل، وهى عسية ألا تقلد، لأن تقليدها يكون شائها مرذولا، ولأن «عملاقية» صاحبها شخصا وفكرا تتأبى أن يحتجنها مقلد، ضرير الفكر والقلم، وتلك سمة أصالة ، صحيح أن الاستاذ شاكر يغرى بالاحتذاء شخصا وفكرا ، بيد أن قامته صعبة ، تتقاصر دونها القامات ، فى محاولتها مضاهاته والاقتراب منه، ولذا يكون من الصحيح كذلك أن يكون الاستاذ شاكر هو الاستاذ شاكر، وإن حاولنا أن نرى فيه أمشاجا من القدماء ، أو المحدثين كالرافعى، لكن هذه الامشاج أضت فى تجاليد شاكرية، من آفة النظر التوقف عندها، لأن الرجل ينفق عن سعة وسعته هى كل ما ورثه عن سلفه العظيم .

الأستاذ شاكر يحتشد تماما لكل ما يقرأ ويكتب، واحتشاده من نوع خاص فى تاريخ الأدب العربى، حيث ترفده ثقافة وسيعة - حصلها بنفسه - ، ونظر عميق، يتراحب فى كل ما أنتجه العقل العربى من الفقه والتفسير والحديث، وعلوم الرجال والتاريخ ، والأدب العربى شعره ونثره، فى إحاطة مذهلة ، ولذا ينبغى على كل من يقترب منه أن يحتشد بعض احتشاده، وألا يكون منوفا بالهوى الذميم ، وضيق الأفق ، لكى يتدسس الى مرامى القول، وهى عصية . وإلى مناحى فكره، وهى قصية ، ولعله بعد هاته المجاهدات الصابرة ينفذ الى الكلام وصاحبه. ولا يعنى ذلك أن الرجل يتعاظل أو يكلف الاشياء ضد طباعها بل إنه أمين لفكره ، ولفكر هذه الأمة التى يعزى اليها ، ومن الأمانة المتوخاة أن يصدق فى التعبير عن فكره وفكر أمته ، أما الذين فى قلوبهم زيغ، وفى عقولهم آفة . وفى نحرهم زغل . فالرجل ليس بسبيلهم ، لأنه لا يتملق فكرهم ، ولا يدغدغ شعورهم، بل إن بعض هؤلاء لو أحسنوا استخدام نعمة الله عليهم، لفاءوا إلى فكر الرجل. ولوجدوا فيه ما يروي الصدى. وينقع الغليل مع بذل الجهد الذى يفك مغالق وينسف سدودا .

ومن ارتكاس الأذواق ، ومسخ السلائق أن نطالب الرجل ورصفاءه بالتنزل الى الناس لأننا بذلك نشجع الجهل والحطة ، وواجب المفكر أن يرفع إليه الأذواق لا أن

يتسفل بها. والمضنون به على غير أهله يجب أن يتبوأ مكانا سامقا ، حيث يتطلع إليه من لديه أثارة من همة ، ويشرئب إليه من فى قلبه جذوة من عزيمة تأبى أن تخلد إلى الاستكانة والخذلان ومن فضائل الاستاذ شاكر الكبرى أنه أبى هذا التنزل ، وأنه نفخ فى تلك الجذوات ، فتطلعت إليه - فى اختياله ومجادته - مختالة متمجدة ، عائذة من الخذلان ..

● سبع مقالات مطولة

ونمط مخيف وصعب ضرب من الكلام يعسر على غير الاستاذ شاكر، بل إنه ليتلبسه فى كمال الاتصال، فلا يمهر إلا باسمه ، وهو سبع مقالات مطولة استغرقت أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير عن قصيدة واحدة نسبت خطأ لتأبط شرا .

دار الكلام فيها على كل مسائل التحقيق، والعروض، واللغة ، وتذوق الشعر ونقده، ونقد السند والرجال، وتمحيص الكتب والروايات ، وقضية الوحدة العضوية فى الشعر الجاهلى ، وترجمة الشعر إلى لغة أخرى .

وربما يخال القارىء أو يتوهم أن هذه مباحث افترعها الباحثون ، وأفاضوا فى القول فيها ، بيد أن الخيال أو الوهم سرعان ما يرتد حسيرا حين يطالع هذه الصفحات فى معالجتها الصابرة الشديدة العمق، ليصل مع المؤلف الى استظهار نسبة هذه القصيدة الى ابن أخت تأبط شرا، من خلال تقص هائل للكتب القديمة، ورواياتها ، ومسائل الجرح والتعديل، وبخاصة حين تعرض للقفطى وروايته فجرحها ، ونكأ عند المؤلف جرحا قديما حين عالج غرائب القفطى فى روايته عن دير الفاروس ودرس أبى العلاء فيه، وتقف من ثنايا هذه المناقشة المستوعبة على كلام جيد محكم عن الفروق بين الشعر المصنوع والمنتحل، وهى قضية تلبث عندها الاستاذ شاكر طويلا فى مواطن أخرى، لأنها كانت قضية العصر، وقضية أمة يراد العبث بشعرها وبتاريخها ، ومع هذا النقد التاريخى تدسس المؤلف من ثنايا القصيدة الى استظهار نسبتها إلى ابن أخت تأبط شرا، مما يعرف بالنقد الداخلى، وللمؤلف باع هائل فى تذوق الشعر على طريقته هو، وربما ينفرد بها انفراد خالصا فى تاريخنا الحديث إلى جانب فئة قليلة تشاركه هذا الانفراد .

● السر !

هذه القصيدة تعرف باللامية ، وأولها:

إن بالشعب الذى دون سلع .:. لقتيــلا دمــه مايــطل .

وقد تلبث الاستاذ شاكر لدى بحرها وهو المديد الأول: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن» ، مع ما يداخله من زحافات، وناقش سر تسميته بالنمط الصعب لدى القدماء ولدى الدكتور عبد الله الطيب من المحدثين ، وارتأى المؤلف أن للوتد فعلا فى تلك الصعوبة ، وأن موقعه فى التفعيلة الأولى والثالثة فى الوسط وفى الثانية فى الطرف يقف وراء هذه الصعوبة واستطرد المؤلف الى حديث طويل فى الدوائر العروضية . وهو حديث عسير ، ينبىء عن



مقدرة هائلة فى الفهم والتذوق والتفسير والتعليل، وارتأى نمطا آخر من الوزن لضبط هذا البحر ، وهو :

«فاعلن مستفعلن فاعلا.. تن» ليكون الوتد «علن» فى الطرف تخلصا من دورانه بين الطرف والوسط فى وزن الخليل، مع ترفيل يلحق التفعيله الثالثة «فاعلا.. تن» أو «فاعلن تن» ..

لا ريب أنه اجتهاد ترفده دربة، وشجاعة محمودة من المؤلف أن يستدرك على القدامى ، مع إجلاله لهم، وقد صنع هذا الصنيع فى تفسير بعض الكلمات فى القصيدة مخالفا القدامى بيد أن هذا الاجتهاد لا ينهض بما يريد المؤلف الوصول إليه، لأننا نحتاج إلى تأويل فى اجتهاده ، وأولى من التأويل عدم الحاجة إليه، ولأن الترفيل شىء افتراضى لا يسنده الواقع ، ففاعلن + تن هى فاعلاتن، والوتد هنا فى الوسط ، وما قبله فى الطرف ، فنحن نفر الى ما أرغنا الفرار منه، ولأن ثمة بحورا أو بالتحديد صنوفا من البحور، تضارب فيها موقع الوتد، ولم تنعت بأنها نمط صعب وأبرز مثال هو مخلع البسيط ، وهو فى رأينا بحر قائم بذاته وليس جزءا أو صورة من البسيط ، وتفعيلاته : «مستفعلن فاعلن فعولن» فالوتد فى الطرف فى التفعيله الأولى والثانية وفى الثالثة فى أولها، وفى الرجز فى إحدى صوره : مستفعلن مستفعلن فعولن، حين يدخله مثل هذا الزحاف ، وهو كثير قديما وحديثا، والرجز حمار الشعراء فى القديم والحديث، بل إنه صار أشد الحمير بؤسا فى الشعر الحر، ولأن الزحافات تغير كثيرا من موقع الوتد فى كثير من بحور الشعر، لا نستطرد إليها الآن ، وهى مهمة لأنها تنفى عن الوزن ما يمكن أن يسمى رتوبا لو كانت التفاعيل تامة غير مزاحفة .

● فساد الشعر الحر !

والأستاذ شاكر فى إلماحة جيدة يذكر أن التفاعيل مفردة لا تؤدى نغما، وقد كرر ذلك مرتين ، وكأنه يومىء الى فساد النظام الذى يقوم عليه الشعر الحر «التفعيلة» . لأن الشعر يأتى من «نسق خاص» تأتى عليه التفاعيل فتؤدى نغما يمكن وحده أن يسمى شعرا، وما يخرج عن ذلك فيمكن أن يسمى شيئا آخر غير الشعر الذى يعزى الى أدب هذه الأمة، ولا يعنى ذلك أن الاستاذ شاكر يغلق باب الإبداع ، لأن النظم على وزن مخترع لا يقدح فى كونه شعرا كما يقول الزمخشرى وكما تقول الفطرة السوية، بشرط أن نئول فيه الى نظام وقاعدة يحتملان التصويب والتخطئة، وإلا فإن الفساد والخلل يتفشيان ، ويئول غير النظام نظاما (راجع كلامه فى ص ١٠٦- ١١٠) .

ومع أن مساوقة الوزن لمعانى الشعر لاتزال دائرة فى محيط الفرض والاحتمال ، وأن كلاما معينا يصب فى وزن معين ليس ضربة لازب ، فإن المؤلف استطاع أن يقيم علاقة حميمة بين هذا النمط الصعب المخيف ، وبين غرض الكلام القائم على التذكر ، مما

يجعل القارىء يهتف بالموافقة معه، لكن هذا مطلب قصى لا تستطيعه إلا فذاذة الاستاذ شاكر، وتذوقه لمستسر النغم السارى فى تجاليد الكلام ، وشىء كثير من مثل هذا سرى فى شرحه للقصيدة ، وفى وقوفه على خبء الوحدة التى لهج بها المحدثون ، وألمح اليها القدامى ، وارتآها وحدة ذات شعب حسب تشعيث الأزمنة، وقد راض المؤلف هذا المبحث العسير رياضة جيدة ناهضة ، فوجد سريان الوحدة - فى نوع منها - فى حنايا القصيدة دون انفعال وتزيد .

وكم وددت لو وقف الاستاذ شاكر على لزوم مالا يلزم فى هذه القصيدة ، فمن المؤكد أنه كان سيرى فيها مالا نرى نحن، حين يعالج اللزوميات، وأنها قديمة فى الكلام العربى، لا نقف بها عند كثير عزة، لأن قصيدة جاهلية كهذه التزم فيها قائلها تضعيف اللام فى القافية، لاريب أن لهذا فعلا فى النغم والأداء، وأنه ليس فضلة لا فى الموسيقى ولا فى المعنى ، بل إضافة اليهما ، لو أن الاستاذ شاكر أراق على هذه المسألة فيضا أو حتى وشلا من فكره وتذوقه لرأينا شيئا عجيبا .

● للجمال حوافر !

واختتم الكتاب برد مفحم على الدكتور عبد الغفار مكاوى حين ترجم ترجمة جوته لهذه القصيدة الى العربية . وكانت الباعث وراء هذه المقالات كلها، وانتقد المؤلف هذه الترجمة وأبان عوارها ،وهى فى الحقيقة شىء مهلهل لا صلة له بالعربية ، وحسبنا أن مكاوى جعل للجمال حوافر، وأن هذه الحوافر تتحطم، والترجمة بالنص: «ألقوه فى مناخ غليظ، على صخر وعر، تقف فوقه الجمال، فتتحطم حوافرها»، وهو كلام يدابر العربية ، ويدابر الفكر الصحيح، ورد الاستاذ شاكر من النمط العالى، المفعم سخرية وتهكما لكن فى أدب رفيع ، لايزال يذكره قراء مجلة «المجلة» نضر الله أيامها وغير معروف للقراء الآن أن الأستاذ شاكر من المتمكنين فى اللغة الانجليزية ، ولايزال المخضرمون يذكرون له ترجمات «المختار» وغيرها وإن كان قد صدف عن هذا النشاط منذ أمد.

إن كتابا بهذا القدر يحوى كل هذه القضايا ، فى معالجة متمكنة وهائلة لا تعالجه مثل هذه السطور الخجلى، بل حسبها أن تشير الى هذا الجبل الباذخ، من جيل العمالقة الكبار، وأن تؤدى إليه التحية فى عيد ميلاده الثامن والثمانين - نسأ الله فى أجله - لأننا نحيى أنفسنا حين نحييه ، وخير تحية أن نقرأ مايكتب ، ونحاول أن نحسن القراءة ونحسن الفهم.

وقد سدك بالاستاذ شاكر منذ أمد لقب «الشيخ» - وهو ليس من المعممين -وهى مصادفة حسنة ، لأنه يذيب قلبه حبا فى العربية ولسانها ، ويبادله مريدوه - وهم كثر - هذا الحب وذلك التقدير .. فأى نمط من الرجال هو ؟!!